صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد.. ؟!

عندما زار الأستاذ الإمام محمد عبده – عبقرى الإصلاح والتعليم كما وصفه الأستاذ العقاد و أسماه فى كتاب له تناول فيه بالتحليل الدقيق حياته وآثاره مخلدا به ذكراه – المدرسة التى كان ينتظم بها الأستاذ العقاد فى المرحلة الابتدائية بأسوان. وقرأ موضوعا إنشائيا له، تهلل وجه الإمام وهو يقول: «ما أجدر صاحب هذا، أن يكون كاتبا بعدُ»!.

وتمر سنوات قلائل قصار، ويبزغ ضوء كتابات «العقاد»، وأشعاره كالمنار الذى يهدى من يمخرون عباب البحر فى الظلمة الظلماء، وفى الليالى الداكنة السوداء.

ويتقلد سعد زغلول نظارة المعارف العمومية عام ١٩٠٦ ليصلح من شأن التعليم الذى كان الفساد قد اعتوره، واستشرى فيه جراء سياسة «دنلوب» الإنجليزى، بعد إذعان الإنجليز للحركة الوطنية وقبل عزل (كرومر) بسنة واحدة.. ويذهب أستاذنا العقاد للقياه، ليجرى معه حديثا وقد أجراه ليكون بهذه المثابة أول صحفى مصرى يدير حوارا مع الوزير الجديد، الخطير، وكان هذا الحديث.. حديث الطبقة المثقفة فى مصر آنذاك، ويدأب هو فى كتاباته الرصينة، وقرض أشعاره الجزلة العميقة، فارضا ذاته على الحياة الثقافية والإجتماعية بقراءته الرشيدة، الغزيرة، المتنوعة، وموهبته بل مواهبه العقلية المنفردة، وشخصيته العنيدة المتمردة التى قُدت من صخر أسوان بما يفصح عن مكنون عبقريته، التى انثالت منها تواليفه فى الأدب والشعر والفكر والتاريخ، فهو أديب، وشاعر، ومفكر، ومؤرخ، وقاص، عالم من علماء النهضة المصرية فى القرن العشرين الذى شهد مولد العباقرة وسمى بحق جيل العمالقة هذا الجيل الذى أخرج مصر من دياجير الظلام إلى عالم النور.

وتضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، تُجابه مصر بأقوى دول الأرض قاطبة. هكذا كانت بريطانيا وقتها: إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، تقبض على ربع الكرة الأرضية، ذات قوة عسكرية، وذات بأس فى البر والبحر» كما عبر الزميل النابغ المستشار طارق البشرى فى كتابه «القيم سعد زغلول مفاوضا».

وتندلع ثورة ١٩١٩ بقيادة زعيمها سعد، وتتأجج نيرانها، ويشتعل أوارها رافضة بقاء المستعمر الدخيل على أرضها. ويصبح هو لسانا من ألسنتها، ثم قلمها «الجبار»

الذى لا يشـق له غبار.. وتتوطد أواصر الصداقة ووشـائج المحبة بينه وبين قائدها «الفلاح العبقـرى» كما أطلق عليه الدكتور حسـين مؤنس فـى كتابه الرائع عن ثورة ١٩١٩، وكما وصفـه العلامـة إميل لودفيج فى سـفره الجليل «النيل». ويدعوه الزعيـم إلى (بيت الأمة) ويُجلسـه على يمينه.. ثم يتناثر من بعده الكبراء والعظماء، ويحتج الطفل (مصطفى أمين) على (خال والدته) سـعد زغلول قائلا: أليس هذا مخالفـا (للبروتوكول) أن يجلس عباس (أفنـدى) العقـآد بجوارك قبل وجهاء الأمة وعلية القوم؟. ويجيبه سـعد: إنه ليس عباس أفندى.. ولكنه «صاحبة جلالة».

ويمضى العقاد فى كفاحه الأدبى، وتألقه الذهنى وجرأته فى سبيل الحق. ويتكسر على نصـال قلمـه كل من يحاول أن يفتئت على هذا الحـق، حق مصر فى أن تحيا حياة حرة عزيزة.

وعندمـا قام «إسماعيل صدقى» بتعطيل العمل بالدسـتور وقـف النائب «عباس محمود العقـاد» ليقول: – يا حضرات النواب.. إن رأى مجلس النواب لا يمكن أن يكون مجهولا لحظـة واحـدة بعد البيان الذى أدلى به حضرة صاحـب الدولة رئيس مجلس الوزراء، لأن الأزمة ليست أزمة وزارة.. فحسب، بل هى أزمة مجلس النواب نفسه.. بل أزمة الدستور المصرى.. ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مسـتعد لأن يسـحق أكبر رأس فى البلاد فى سـبيل صيانة الدسـتور وحمايته. وعلى العكس من أغلبية أعضاء المجلس الذين استقبلوا العبـارة الأخـيرة، بالتصفيق الحاد المتواصل، تنبه «ويصا واصف» – رئيس المجلس – إلى خطورتهـا فصاح معترضا: – ما هذا يا أسـتاذ «عباس».. أنـا لا أسمح بمثل هذا الكلام.. واسـتمر «العقاد» فـى كلمته – بعد أن أمر رئيس المجلس بحـذف العبارة من المضبطة – يقول: – مازلت أكرر أننا جميعا مسـتعدون للتضحية محافظة على الدسـتور ومقاومة كل من يعبث به، وأن البلاد جميعها على أتم اسـتعداد للتضحية، لأن الأمة قد جاهدت فى سبيل الحصول على الدستور ستين عاما.

واسـتل العقاد قلمه وسـلط سياط مقالاته يكوى صدقى بها كيا، على حد تعبير الدكتور «شوقى ضيف».

ويتولى محمد محمود (باشـا) دفة الحكم ليعلن أنه سوف يحكم مصر «بيد من حديد» ويشرع العقاد قلمه أو سيفه فى وجه الطاغية الجديد هازئا به، فى مقال له: «يد من حديد فى ذراع من جريد»؟!.

ويتهم بالعيب فى الذات الملكية.. ويساق إلى غياهب الجب، ويمكث بين جدرانه تسعة أشهر يؤلف خلالها كتابه القيم «عالم السدود والقيود» الذى هو عبارة عن أنشودة بديعة فى الحرية ويخرج من محبسه وهو ينشد أمام ضريح سعد زغلول وبين رهط من كبار رجالات الدولة يتقدمهم الزعيم مصطفى النحاس، وقد جاءوا برمتهم للترحيب بكاتب الشعب عباس العقاد:

وكنت جنين السجن تسعة أشهر وهاأنذا فى ساحة الخلد أولد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهم سيعهدنى كل كما كان يعهد؟!

ويشتجر الخلاف بينه وبين زعيم الأمة مصطفى النحاس لاستنكاره لسياسة الوفد والتى رآها مغايرة لسياسة الوفد إبان رئاسة سعد زغلول له على يد رئيس الوزراء «محمد توفيق نسيم».

ويضرب العقاد عرض الحائط بالصلات الطيبة التى تربطه بزعيم الأمة «مصطفى النحاس»، وينحى عليه باللائمة فى هجوم قاس شديد، معترضا على هذه السياسة فينبرى له النحاس غاضبا: أنا زعيم هذه الأمة.. ويرد العقاد عليه قائلا: وأنا كاتبها بحق الوحى الإلهى، ولن تنتهى برية هذا القلم حتى أكون قد أسقطت وزارتك؟!

وتقذف نيران الحرب العالمية بحممها، ويدق (هتلر) وجنوده أبواب مصر. ويطلب البعض من زعماء مصر الأمن والأمان.. ويؤلف هو كتاب (هتلر فى الميزان) يشرح فيها شخصية الزعيم النازى المصاب بجنون العظمة ويتنبأ فيه بالفشل والهزيمة ويتهدده هتلر وجنوده بالويل والثبور وعظائم الأمور، فيشد العقاد رحاله إلى السودان، ينتهى هناك من كتابه «عبقرية عمر».

ثم يكمل سلسلة عبقرياته التى فتح بها بابا جديدا فريدا فى الأدب العربى الحديث (ما أن تذكر حتى تشكر). فهى مرتبطة به ارتباطا لا يقبل التجزئة ،فهى تؤكد عبقريته فى استكناه أسباب العظمة، وتحليله الدقيق الموغل فى سبر أغوارها، يتقلد إمارة الشعر من عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ألقى خطابا فى مؤتمر ضم أدباء مصر قال فيه: «إننى أقلد الأستاذ العقاد إمارة الشعر فى مصر، ضعوا أيديكم فى يده وقلده إياها».

كان هو وزميلاه قد فتحوا بابا جديدا للشعر من خلال مدرسة الديوان التى أنشأوها وعابوا على الشعر فيها اهتمامه بالألفاظ دون المعانى، وكان العقاد هو صاحب القدح المعلى،

واليد الطولى فيها.. من هنا جاء شـعره فى دواوينه العشـرة التى جادت بها قريحته شعرا عميقا يملأ سـاعات العمر ويغنم به القارئ أعمارا من المتعة والبهجة والنشوة الرقيقة التى تضاف إلى الأجل المحدود كما عبر الأستاذ الأديب فاروق شوشة فى كتابه (مختارات من شعر العقاد).

ويرتبط اسـم العقاد (بأبولـون) Apolon رب الضوء والفنون والحضـارة وبصفه النقاد والأدباء بعملاق الأدب العربى.

وينـال جائـزة الدولة التقديرية ويقف أمام الرئيس جمـال عبد الناصر – فى عيد العلم – وكان كاتب هذه السطور من بين المكرمين فيه – ليلقى كلمته أمامنا، فماذا قال؟

قـال إن جوائـز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمـة.. «وإن تقديره من قبل «أمته» اشتراك معه فى الفهم والإفهام ومعاونة له على الفيض والإلهام».

ثم يردف قائلا: فى عزة القاضى الجليل، وأنفة المفكر الأديب اللبيب:

«إن جمهوريـة الفكر خير قرين لجمهورية الحكم، وإن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة».

وهكذا كان العقاد يرتفع دائما بقيمته الفكرية.. وقيمة أى مفكر فى كل مكان وزمان من خلال اهتماهه بكرامة المفكر، ومبدأ (الحرية) التى آمن بها العقاد ايمانا راسخا، حتى إن البعض اعتبره ممثلا لهذه الحرية بأجلى معانيها وعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه كاتب مصر العالمى نجيب محفوظ بأنه (الحرية بكل ما تعنى من أبعاد).

(فهو) الحرية إذا التمسـنا لشـخصيته فكرة يرمز بها إليه.. فالحرية هى الجمال فى فلسـفته وهى الديمقراطية فى سياسته، وهى الفردية فى رأيه الاجتماعى، وهذه هى القيم التى دافع عنها وسجن فى سبيلها واضطهد كثيرا من أجلها. ومنها استلهم أدبه على تعدد جوانبه فكان رائدا كبيرا من رواد الشعر الرومانتيكى الثائر، وكان ناقدا فذا يدعو إلى تحرير العقل والشعور من سلطان السلف والتقاليد وكان كاتب سيرة يؤمن بالعبقرية باعتبارها القوة الخالقة وسـط الأحداث والمجتمعات.. وكان قصاصا تحليليا سيكولوجيا من طراز عال فى قصته «سـارة».. (راجع سـامح كريم العقاد فى معاركة السياسـية). فلا غرو – إذن – أن نجده يعتز بكرامته أشـد الاعتزاز أليس هو القائل. أعترف أنى أحب الشـهرة والخلود، ولكننى أعترف كذلك أننى لا أطلبها لقاء ثمن يهيض من كرامتى. وإننى إذا أحسسـت أن

إنســانا يعتز بشهادة يبذلها، أو شهادة يمنعها، فلا نصيب له عندى غير التحدى، الذى يذهب به إلى الحائط، ولتذهب الشــهرة ، وليذهب الخلود معها إلى الشــيطان. كان رحمة الله عليــه يردد مقولــة له، ويكررها بالإنجليزيــة Dignity is the best policy، أى أن الكرامة هى السياســة المثلى وعن هذا يعبر: الكرامة هى التى تسعدنا حين نحسن ونظفر، لأننا نفقد ما نفقد، ونفضل آخر ما حفظناه، وهو أعز علينا مما ضيعناه.

قمــين بنا – نحن المصرين – جميعا أن نتوجه بالتحية والتقدير، لعملاق الفكر المصرى والعربى القدير.. فى يوم مولده.

❑❑❑

obeikandl.com

صدقت يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن .. مع الوسواس الخناس!

صدق الكاتب الصحفى الأستاذ «عباس الطرابيلى» فى مقاله المتميز الذى دبجته براعته منذ أسابيع قلائل والذى دعا فيه الشعب المصرى بطوائفه المتباينة إلى التكاتف من أجل الصلاح والإصلاح.

يحدثنا تاريخ الأدب أن «امرؤ القيس» عندما علم بمقتل والده وكان ساعتها يعاقر بنت الحان(الخمر) شد رحاله إلى مضارب أخواله فى جوف الصحراء وقال قولته التى ذهبت مثلا : «اليوم خمر وغدا أمر».

والغد يحمل فى ثناياه – بمشيئة الله – الخير كل الخير والفلاح لشعب مصر بعد أن تخلص من الوجوه القباح، الذين باءوا بالذلة وبالإفتضاح، فى كل غدوة لهم ورواح.

إن الجبهة الداخلية التى أراد الجاهلون أن يحولوها إلى قطعة من الجبن أو الزبد بإمكان أى فرد أن يمزقها إربا إربا.. هذه الجبهة هى قوام مصر يجب أن تكون متماسكة وأن تعود إلى وحدتها وصلابتها لتؤكد هيبة الدولة وتماسكها وليس انفراط عقدها مما يدفع الجاهل أو الحاقد إلى أن يعيث فى أرضها فسادا وإفسادا فالاستبداد، فى الرأى يؤدى إلى الفساد.. والفساد يجر جرا إلى الإفساد.

وها هو ذا المستشار الجليل عادل عبد الحميد – وزير العدل – يصرح فى التلفاز المصرى أن ثمة فئة ضالة كانت وراء إحراق صرح مصر «المجمع العلمى المصرى» وقد اعترف البعض منهم بتقاضى أموالا زهيدة ووجبات غذاء مقابل تدمير هذا المتحف العلمى الشامخ الذى أسسه نابليون بونابرت فى ٢٠ أغسطس ١٧٩٨.

هناك أنظمة تخشى تكرار ثورة مصر فى بلدانها.. وهناك دولا محيطة بنا أغدقت أموالا تفوق التصور لجمعيات ومؤسسات مصرية لكى يعمل من خلالها المتآمرون على تخريب مصر ودق إسفين فى ثورتها الخالدة. إذن فلا جَرَم أن نفتح عيوننا ونرهف أسماعنا حتى نتبين الغث من الثمين، والطالح من الصالح. فالثورات الكبرى مثل الثورة الفرنسية وكذلك الأمريكية ناهيك عن ثورة الصين والثورة البلشفية وغيرها من الثورات لم تنجح فى مسعاها

مع سـقوط الآلاف من ضحاياها إلا بالعض – كلٍ العض – على نواجذ جبهتها الداخلية، ومن ثم فقد أثمرت وأينعت وحققت مراميها فى التقدم والازدهار.

الأعداء يتربصون بمصر من الداخل ومن الخارج، والحفنة المتآمرة الكامنة فى «السراديب» قد عرَّاهم الله، فإنهم يتربصون بمصر الدوائر من أجل وأد ثورة مصر السـلمية الأبية الفتية التى غدت نبراسـا للثورات، وقد شـهد لها الدانى والقاصى بأنها قد أصبحت ثورة ليس مثلها ثورة من قبل ومن بعد، وقد كشف الله الستر عن خافى مساعى هؤلاء المتآمرين الذين يبتغـون لمصـر أن تصبح خرابا يبابـا بعد نفث سمومهم فى عقول السـوقة والدهماء الذين تحولوا إلى حية رقطاء، تود أن تلتف رويدا رويدا حول جسد الأمة.. وإذا أردت أن تعرفهم فإنهم يظهرون لك مرة كالغربان، وأخرى كالعقبان، وثالثةً كالأفعاوان. يريدون أن تكبل مصر بالأرسـان حتى تقع فى بئر الهوان، وتعـود القهقرى إلى عصر الطغيان.. ولكن يقف لهم الديان.

إنهم يمكرون. ويمكر الله.. والله خير الماكرين..

❑❑❑

ضربة منشة .. سبب احتلال الجزائر !!

من أعجب ما قرأت فيما دونه التاريخ فى سجلاته قصة الاستعمار الفرنسى للجزائر الشقيقة التى ترجع علاقتها بفرنسا إلى القرن السادس عشر الميلادى حينما عقد حلف بين البلدين لجأ بمقتضاه الملك «فرنسوا الأول» ملك فرنسا إلى خير الدين بربرون طالبا معونته تارة ضد جيوش جنوه عام ١٥٣٥م.. وتارة أخرى ضد جيوش «شارلكان» امبراطور أسبانيا عام ١٥٣٦ . فقد تم تبادل السفراء بين فرنسا والجزائر عام ١٥٦١م.. وفى عام ١٥٩٥ استنجد الملك «هنرى الرابع» بالجزائر فى تخليص مرسيليا من الجيوش المغيرة عليها من أعدائها.. وفى عام ١٧٩٣م عاودت فرنسا طلب المعونة من الجزائر وامدادها – أى فرنسا – بالجلود والخيول والقمح.

وفى عام ١٧٩٤ منحت الجزائر الحكومة الفرنسية التسهيلات الخاصة التى كان من شأنها أن حصل الفرنسيون على كل ما يلزمهم من القمح الجزائرى.. كما أقرض «الداى حسين» حاكم الجزائر حينذاك حكومة فرنسا عام ١٧٩٦م مليونا من الفرنكات بدون فوائد لكى يسهل على الفرنسيين شراء المزيد من قمح البلاد.. واشترى الفرنسيون القمح.. وحصلوا منه على كميات زاد ثمنها على المليون فرنك بكثير.. فاعتبرت الجزائر هذا دينا على فرنسا.. ومرت الأعوام ولم تسدد فرنسا دين الجزائر حتى عيل صبر الداى واستدعى قنصل فرنسا فى الجزائر.. وكان ذلك فى يوم ٢٩ إبريل عام ١٨٢٧ وسأل الداى القنصل متى ستحصل الجزائر على حقها من فرنسا.. ولماذا تمتنع فرنسا من الرد عليه فيما يطالب به من مبالغ مستحقة لبلاده على فرنسا، ولم يكن من القنصل إلا أن تلعثم وأجاب الداى بأن حكومته لن تكتب إليه.. أى إلى الداى.. ولا فائدة من ذلك .. فثار الداى لذلك الجواب وهب واقفا طالبا من القنصل أن يخرج من مجلسه فلما لم يستثل القنصل لأمره «هوى عليه الداى بمنشته.. وقذفه بها فى وجهه فكانت تلك الحاثة سببا فى هياج فرنسا وفى إرسالها قواتها المدججة بالسلاح لاحتلال الجزائر ردا على فعلة «الداى» وصونا لكرامة فرنسا كما زعم بذلك ملك فرنسا «شارل العاشر»؟!.

وقد تم ذلك فعلا فى يوم ٥ يوليو عام ١٨٣٠ بعد استسلام «الداى» فى اليوم السابق لذلك.. ومنذ ذلك الحين وفرنسا تحتل الجزائر، وتزعم أنها – أى الجزائر – قطعة..

أو جـزء من أرضها حتى قيد الله لها الشـهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم فى سـبيل حريتها واستقلالها ومن ثم أطلق على الجزائر بلد المليون شهيد!!.

هذه وبإيجاز هى قصة احتلال الجزائر واسـتعمارها.. قصة أغرب من الخيال إن دلت على شىء فإنما تدل على مكر الاستعماريين ودهائهم وتفننهم فى اختراع الأسباب لاحتلال الشعوب واستعمارها فهذه هى فرنسا – كما رأينا – تقدم على احتلال الجزائر واستعمارها.. وتحتلها فعلا وتستعمرها بسبب ضربة منشة!!.

❑❑❑

ضريبة الذهب الأسود فى عهد المصريين القدماء ..

البترول.. كلمة تتكون لفظين من أصل يونانى هما: «بترو.. ليوم».

الأولى بترو بمعنى «حجر».. والثانية ليوم بمعنى «زيت».. فيكون المعنى الاجمالى لكلمة بترول هو.. «زيت الصخر».. وترجع معرفة الإنسان بالبترول واستعماله إلى أجيال طويلة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. وقد كشفت الأبحاث أن «البنزين».. وهو أحد مستخرجات البترول – كان يستخدم فى بناء المنازل بمدينة «أورو».. وغيرها من المدن التى يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد..

ويقول سفر التكوين فى التوراة إن سفينة نوح كانت مطلاة بالغاز من الداخل والخارج.. ثم السلة التى وضع بها موسى عليه السلام عندما ألقى فى اليم طليت بالغاز من الداخل والخارج أيضا .. والغاز أحد منتجات البترول..

وتروى النقوش الأثرية المصرية أن «تحتمس الثالث» فى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد رسم على سكان بعض المدن المصرية فريضة من البنزين الذى كان يستخدم فى تحنيط الموتى..

وظهرت صناعة البترول عندما تمكن الكولونيل «وريك» الذى كان يبحث جاهدا عنه من حفر البئر الأولى عام ١٨٥٩.. وقد وجد البترول على بعد ٢١ مترا من سطح الأرض.. وفى خلال التسعين سنة التالية بعد هذا الكشف حفرت آلاف الآبار.. وتوغل الباحثون فى باطن الأرض حتى تم استخراج البترول من آبار وصل عمقها إلى مسافة ٤ كيلو مترات ونصف تحت سطح الأرض..

ولقد نشأت صناعة البترول فى العصر الحديث فى بداية القرن التاسع عشر خلال عمليات الحفر التى كانت تجرى بحثا عن الملح.. إذ صادف الباحثون آثارا من الزيت الخام فى عددا كبيرا من مناجم الملح فى فرجينيا الغربية.. وكان الزيت الخام يعتبر مادة عديمة القيمة.. ولكن لم ينقض وقت طويل حتى كشف أن لهذا السائل بعض المزايا والفوائد.. فبدأ استخدامه فى إضاءة الشوارع فى عام ١٨٢٨.. وفى عام ١٨٤٥ استعمل البترول الخام لأول مرة مخلوطا بزيت الحوت فى تزييت آلات مصانع حلج القطن فى الولايات المتحدة الأمريكية.. ومنذ ذلك الوقت أخذ الطلب على البترول يتزايد..

ومـا أن جاء عام ١٨٨٩ حتى توالت عمليـات الحفر والتنقيب، فلم ينقض عام ١٨٦٠ حتـى بلغ عدد الآبار التى حفـرت فى أمريكا أربعا وثمانين بئرا أنتجت ما يقرب من ٧٥ طنا من البترول.

وظل البترول طوال الأربعين عاما التى تلت ذلك يسـتعمل بصفة رئيسـية فى الإنارة.. والتزييـت وغيرهما حتـى ظهر محرك الاحـتراق الداخلى فبدأ اسـتعمال البترول كوقود لمراجل السفن.

ومنذ ذلك بدأ إنتاج البترول يرتفع بسرعة عظيمة مع تطور الصناعة وارتقائها. فتضاعف مـن ٥٥ مليونـا عام ١٩١٣.. إلى ١٠٩ ملايين (طن).. فى عام ١٩٢١.. إلى ٢١٨ مليون طن عام ١٩٣٥.. إلى ٤٣٣ مليون طن عام ١٩٤٧!..

هذه هى قصة نشأة البترول فى العالم.

أما عن قصة نشـأة البترول فى مصر فذلك يرجع إلى عام ١٨٨٤ حينما اسـتقدم «نوبار باشـا» بلجيكيـا يدعى «دى باى» وعهد إليه مهمة البحث عـن البترول.. فى مصر.. فى منطقة «جمسـة» غير أن «دى باى» فشـل فى مهمته التى اسـتطاع اتحاد البترول المصرى أن ينجـح فيهـا عام ١٩٠٨ حينمـا وفق فى العثور على البترول فى المنطقة السـابقة التى بلـغ انتاجها من البترول ١٩٣ ألف طن.. ثم توالت الكشـوف عـن البترول فى مصر بعد ذلك فأكتشـف حقل الغردقة عام ١٩١٤.. ثم حقل أبو دربة عام ١٩٢١.. ثم رأس غارب عام ١٩٣٨.. ثم حقل بترول سـدر عام ١٩٤٦ ثم حقل مطارمه.. وعسـل.. وبلاعيم وغيره وغيره من حقول البترول.

وذلك هو الذهب الأسود الذى قالوا عنه «.. من ملك البترول.. ملك زمام العالم.. وأصبح السيد الحقيقى له!..».

هذا هو البترول الذى لعب دورا هاما فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.. وجعل الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا عن بكرة أبيها تصطلى وتكتوى بالزمهرير من شـدة البرد جراء محاصرة البـلاد العربيـة المنتجة للبترول بامتناعها عـن ضخ البترول إلى بلادهم لقـاء تكاتفهم مع إسرائيل. تضامنا منها مع شقيقتها مصر التى خاضت حربا ضروسا من أجل تحرير أرضها من ربقة المحتل الإسـرائيلى الذى أحتلها فى غلس الليل وما كان له أن يرفع يده الملوثة بدماء الشـهداء المصريـين إلا بهذه الحرب المجيدة التى أصبحـت تدرس فى أكاديميات العـالم العسـكرية المختلفة التى شـهدت لمصر بعبقريتها الحربية بعـد أن أذاقت المحتل الإسرائيلى الويل والهوان.

عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم ؟!..

دعتنـــى قناة «دريم» فى غضون عام ٢٠٠١ لحضـــور ندوة عن الحكم الذى صدر بإعدام المرضة «عايدة» ثم بعد ذلك أعادت محكمة النقض محاكمتها أمام دائرة جنايات أخرى، غير الدائرة التى حكمت عليها بعقوبة الإعدام.

أدارت الأســـتاذة «منى الشـــاذلى» الحوار فى هذه الندوة كعادتها باقتدار وكان الحضور فيها الأســـتاذ الصحفى «محمد فودة» رئيس التحرير، والأســـتاذ «آمر أبو هيف» المحامى بالإســـكندرية، والدكتـــور عميد كلية طب التمريض بالإســـكندرية، وإحدى أســـاتذة كلية التمريض بها، وكاتب هذه السطور.

كانت الندوة مذاعة على الهواء وأدلى الحضور برأيهم فى هذا الموضوع:

قال الأســـتاذ فودة: إنه لولا الصحافة وتركيزها على هذه القضية لنفذت عقوبة الإعدام فى المتهمة، وأن الصحافة كان لها القدح المعلى فى عرض هذه القضية على محكمة النقض التى حكمت بنقض الحكم المحكوم به على المتهمة بعد أن عرضت الصحافة قضيتها على (الرأى العام) الذى لعب دورا مؤثرا فى تخفيف الحكم عليها.

أمـــا أســـاتذة الطب الذين أدلوا بدلوهم فى موضوع الندوة فقـــد داروا حول ما إذا كانت المتهمة قد أخطأت فى علاج المريضة التى تسببت برعونتها فى إزهاق روحها البريئة.

أما الأستاذ «آمر أبو هيف» محامى المتهمة فقد سلط الضوء على نفسه إذ إنه وهو وكيل المتهمة قد طعن بالحكم الصادر من محكمة جنايات الإســـكندرية بإحالة أوراق القضية إلى فضيلة المفتى.

وكانـــت المتهمـــة قد ناولـــت المجنى عليها حقنـــة بداخلها مادة قاتلـــة، وهى تعودها بالمستشفى التى ترقد فيها بمدينة الإسكندرية.

أما كاتب هذه الســـطور فوجه حديثه لكل من الأستاذ الصحفى والأستاذ المحامى فقال لـــلأول: ليس هناك قضية توصـــف بقضية رأى عام من عدمه فالقضايا جميعها أمام القضاء مهما صغرت أو كبرت ينظرها القاضى بعد بحث وفحص و تمحيص و تفنيد للأدلة الظاهرة أمامه، دون أن يولى اهتماما لرأى عام من عدمه فالرأى العام. كما قال أحد الفلاسفة «ما هو

إلا حصان جامح ليس له من ضابط إلا من يستطيع أن يكبح جماحه». ثم يممت وجهى متجها بحديثى إلى الأستاذ المحامى ذاكرا له: إنه ليس أنت ولا غيرك هو الذى خفف الحكم عن المتهمة عايدة فاستبدلت العقوبة عليها من عقوبة الإعدام إلى السجن لمدة عشر سنوات، ولكنه القانون .. والقانون وحده، متمثلا فى المادة ٤٦ من القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ الذى أوجب على النيابة العامة عرض أية قضية يحكم فيها بالإعدام على محكمة النقض لتقول كلمتها فيها.

ولقد قالت محكمة النقض كلمتها فى قضية عايدة دون مؤثر عليها فيها سوى القانون.

وعندما أبدت الأستاذة «منى الشاذلى» دهشتها قائلة: كيف يكون هذا؟ من حكم بالإعدام يزهق روح المتهمة إلى حكم بسجنها عشرة سنوات؟.

فأجبتها: لا تعرضى نفسك للمثول أمام القضاء فالقضاء ليس محل سخرية فنفت بأدب جم ذلك وأبدت تقديرها واحترامها الكاملين للقضاء.

فأردفت قائلا لها: إن القاضى لا يحكم إلا من خلال الأوراق والمستندات الماثلة أمامه و قد تظهر أدلة جديدة من استقرائه لهاتيك الأوراق تجعله إما يغلظ بالعقوبة أو يخففها حسبما يقر فى ضميره، ويستقر فى وجدانه، وكم من القضاة حكموا فى قضايا جد خطيرة بالبراءة لعدم وجود أدلة، أو عدم كفاية الأدلة. وكم من القضاة حكموا بتخفيف الأحكام على المتهمين بثبوت الأدلة عليهم تقديرا لظروفهم إعمالا لنص المادتين ٥٥، ٥٦ من قانون العقوبات، وكم من القضاة أخطأوافى أحكامهم بالعفو عن المتهمين نأيا بأنفسهم عن الخطأ.. والقاعدة الذهبية أمام عيونهم شاخصة لأبصارهم جلية لبصائرهم : الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة.

وإذ انتهت الندوة – التى استمرت على مدى ساعتين – سألتنى المذيعة القديرة: من يرحم عايدة؟.

فأجبتها: يرحمها الله سبحانه وتعالى الذى كتب على نفسه الرحمة.. و يرحمها السيد المسيح، عيسى ابن مريم الذى قال لمن أرادوا أن يحصبوا «المرأة الخاطئة» بالحصى والحجارة فى محاولة منهم لقتلها فنهاهم نبى الله عن ذلك قائلا : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟!.

ويرحمهـا رسـول الله – صلى الله عليه وسـلم – الذى قال: «ارحمـوا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فالرحمة شيمة الرحماء.. والرحمة شيمة الأقوياء الكرماء.

والرحمة صفة من صفات الرحمن الرحيم.

obeikandl.com

فرية صُبت فى الآذان.. ومَجْتها الأذهان ؟! ..

وهذه الفرية تَجْمل فى أن الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول قد ارتكب خطأ فادحا فى موضوع مد امتياز شركة قناة السويس إبان عرضه على الجمعية التشريعية فى مطلع القرن المنصرم عام ١٩١٠ إذ دافع سعد بحماس شديد عن المشروع ولكن «فوجئ بهزيمة ساحقة فقد وقفت الجمعية ضد المشروع ماعدا عضوا وحدا، والوزراء .. وكانت تلك هى أخطر هزيمة لزغلول».

هذا ما خطه الدكتور رفعت السعيد فى كتابه «اللبيرالية المصرية قائلاً»: إن أحد الباحثين قد ذكر ذلك وبالرجوع إلى مراجعه» اتضح أن هذا الباحث الذى رجع إليه هو ALEXANDER, The Truth about Egypt. وهذا الباحث ليس بباحث ولو كان كذلك لتحرى الدقة التى تمليها عليه الأمانة العلمية. ثم عاد الدكتور مرة أخرى وقرر بمثل ذلك فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، ولو كلف الدكتور السعيد نفسه ببحث هذا الأمر فى المراجع الدقيقة لما وقع فى هذا الخطأ التاريخى، فما دونه يدحضه التاريخ.. فهذه الفرية بعيدة بعد السماء عن الأرض عن الحقيقة الثابتة التى لايأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها.

ففى كتاب «مذكرات سعد زغلول» للباحث المدقق الأستاذ مصطفى النحاس جبر جاء فى الصفحتى (٢٢٩ – ٢٣٠): «.. بات مشروع مد امتياز شركة قناة السويس يترنح أمام عوامل ثلاثة أساسية أولها المعارضة الوطنية الشديدة وثانيها المعارضة داخل الحكومة ورجلها (سعد زغلول) وكانت الحركة الجماهيرية أحد الأسباب القوية فى مساندة موقف (سعد المعارض وشدته)».

ولقد سبق لأحد كبار كتاب مصر أن تردى فى هذا الخطأ الذى وقع فيه «الدكتور السعيد»؛ ففى مجلة كان يترأس تحريرها فى النصف الثانى من القرن الماضى سود الكاتب إحدى صحائفه بعنوان مثير: (تاريخنا مع القناة يتحرك) وقال عن سعد بمثل ما قيل فيه. فما كان منا، ومن آخرين، إلا أن استفسروا – كتابة – من الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن صحة هذا الأمر فكتب الأستاذ العقاد فى يومياته بجريدة الأخبار بتاريخ ١٧/٩/١٩٥٦ تحت عنوان «سعد زغلول وقناة السويس» فقال:

عدت من الإسكندرية فوجدت فى بريدى رسائل كثيرة يسألنى أصحابها عن موقف سعد زغلول فى مسألة قناة السويس عن اقتراح الشركة مد أجل الامتياز بعد إنتهائه، وبعض أصحاب هذه الرسائل يسألوننى عن هذا الموقف لعلمهم أننى قد ألفت كتابا ضخما فى الترجمة لسعد، وأننى قد حضرت هذه المسألة يوم عرضها وكنت ممن رفضوا ذلك الاقتراح.

ولا أحب أن أطيل الشرح والتفصيل، ولكنى أقول موجزا: إن سعدا لو ذهبت جميع أعماله وبقى منها عمله فى هذه المسألة لكان وحده كفيلا له بالمجد الذى تعنو له الرؤوس.

لقد عرضت الشركة اقتراحها بموافقة المعتمد البريطانى والمستشار المالى الإنجليزى فقبله أكثر الوزراء وعارضه سعد ورشدى ومحمد سعيد، وعلم سعد أن المسألة ستنتهى بالموافقة على اقتراح الشركة إذا فصل فيها مجلس الوزراء، فاتفق مع أصدقائه من أعضاء الجمعية العمومية على المطالبة بعرض المشروع عليها واعتبار رأيها فيه قاطعا لأول مرة فى أمثال هذا المشروع الذى لايخولها القانون النظامى رأيا قاطعا فيه.

ولما صرح سعد بهذا الرأى فى مجلس الوزراء اشترط رئيسه بطرس غالى أن يتولى سعد عرضه على الجمعية ليشرح وجهة النظر فيه، وكان يظن أن سعدا يرفض هذا الشرط محافظة على سمعته فلم يبال سعد بالسمعة فى سبيل المصلحة القومية وقبل ما اشترطه رئيس الوزراء.

إن هذه المعلومات مما يعرفه أنصار سعد وخصومه، ولهذا لا نكتفى فيها بما نعرفه ونحيل القراء من بين الأسانيد الكثيرة إلى شرح المسألة كلها فى مذكرات أحمد شفيق باشا الذى طالما غمز سعدا وصرح بلومه فى المذكرات والحوليات.

جاء فى الصفحة الـ ١٨٦ من المجلد الثالث من المذكرات.. «وكان المستشار المالى يميل إلى الأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست وبطرس باشا إلا أن الرأى العام كان ضدها وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدى باشا ومحمد سعيد باشا».

ثم قال شفيق باشا: «وردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا وأحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية».

ولا يخفى على أحد أن هؤلاء الأعيان هم حزب سعد فى الجمعية العمومية أو الجمعية التشريعية أو الوفد المصرى عند تأليفه عقب الحرب العالمية الأولى.

ثم عاد شفيق باشا فى الصفحة الـ (٢٠٤) فقال: «وتقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأى فيها على شرط أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة..».

ولا يخفى أيضا معنى هذا الشرط.

فمعناه الواضح أن سعدا هو الذى يريد عرض المشروع على الجمعية وأنهم يشترطون عليه الشروط لقبول اقتراحه، ولو كان موافقا للمشروع لما كان ثمة معنى للاشتراط عليه.

إن أناسا كثيرون لا يبالون بالمصلحة فى سبيل السمعة. أما أن يتعالى الرجل عن السمعة نفسها غيرة على مصلحة قومه فتلك منزلة من الرفعة لايسمو إليها إلا من هو أهلها، وأهلها فى هذه الدنيا قليلون، بل جد قليلين.

هذا هو خلق سـعد الذى ميزه الله به على أقرانه من القادة.. وتلك هى خلة سـعد فى الشجاعة والوفاء، والتى يَمِيز بها الزعماء المخلصين الخلصاء فى الماضى، أو فى الحاضر.. أو المستقبل على السواء.

❑❑❑

فن البناء..!

حبذا إشـاعة الفن الجميل والذوق السليم فى الجماهير. فإن إذاعتهما كفيلة بأن تربى الشعب وتعلى قدرنا فى نظر زائرينا من الشرق والغرب على السواء.

إن الفـن التشـكيلى من الفنون الراسـخة عندنا وقد خلف فنانونـا القدماء أثارا خالدة تنطـق ببراعتنـا الفائقة. وإذا كانت بلادنا قد عرفت هـذا الفن قديما وقدرته حديثا ممثلا فى المستشـار الفنان محمود سـعيد الذى منحه الرئيس جمال عبـد الناصر جائزة الدولة التقديرية. فإننا لم نسـتطع إلى الآن أن تسـتفيد مهمة من هذا الفن على النحو الذى دعت إليه هيئة اليونسـكو فـى مؤتمر للفنون والآداب عقدته منذ سـنوات وأوصت فيه بوجوب تقرير الدول جميعا لنسبة مئوية من البناء، سواء كان ذلك فى المنشآت الخاصة أو العامة. تنقشـها وزخرفتها تعميما للفائدة التى تعود على الشـعوب من بعث روح الفن فى كيانها وحب الجمال فى وجدانها وتربية النفوس وتهذيبها.

وأخـذت بعض الدول بهذا كإيطاليا وبولنـدا فتحولت مبانيها الباهتة إلى لوحات فنية رائعة زادت من بهائها صبغة الفن التشكيلى الباقية على الأيام.

وحبـذا لو عمل المسـئولون عندنا علـى العناية بذلك فى منشـآتنا المعمارية تلك التى قـال عنهـا يوما أحد علماء الفـن: إنها تفتقر إلى النظام وإلى وحدة الشـكل وإلى روح الفن التشكيلى.. وبذلك نبرز مواهبنا الفنية ونربى فى الشعب حاسة الذوق والجمال.

❑❑❑

فنادق لإنعاش الريف

سئل المؤرخ الإنجليزى «أرنولد توينبى» عندما زار بلادنا أى مكان يحب أن يقضى فيه وقته فأجاب بأنه يفضل دائما الريف حيث الهدوء والجمال وأنه لذلك يكره العواصم الكبيرة.

والذى لا ريب فيه أن ريفنا المصرى من أجمل الأرياف وإبدعها، بقية غذاء للروح. ومتعة للقلب وما من إنسان زار بلادنا إلا وأسره ريفنا بفتنته الكامنة فيه، ونعمته المنثالة منه، وهاهو ذا ابن سعيد الأندلسى الذى زار بلدنا فى القرن الثالث عشر يتغنى بجمال الريف المصرى فما راعه شىء بعد جمال الأندلس مقدار ماراعه منظر القرى المصرية ذات البساط الأخضر الذى يغذى العين بنضرته.

ماذا إذن لو بحث المسئولون فكرة إنشاء فنادق صغيرة فى الريف يدعى السياح للنزول فيها مع تنظيم رحلات دورية ثقافية لطلبة المدارس والجامعات لزيارة الريف والتعرف على قطعة عزيزة من قلب الوطن، وحسبنا ما فى ذلك من كسب أى كسب لإنعاش ريفنا، وبعث الحركة والحياة فى أوصال جسمه الساكن؟!.

❑❑❑

فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب..
فى القرن العشرين ..

من المسلمات.. وأيضا من البديهيات – التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى. كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض.

ومن عجب أن السماء ذاتها. كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى. وهى فوقنا – فى كل مكان – يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية – لكى يروها – مع أشياء أخرى – فى هاتيك الأماكن فهى تبدو – للرائى حينئذ، أكثر صفاء، وأشد نقاء، وأبهى ضياء.

وقد يكون مرد ذلك – فيما نرى – أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح – فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره، وينعم فكره فى قيمة – أى شىء – أن يبتعد عنه قليلا – حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته بفحواه ومغزاه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد والذى جاء مولده فى مثل هذا اليوم عام ١٩٨٩ (فملأ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية – آنذاك – إثر وفاته فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤. كان الأستاذ العقاد ولا يزال. بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أضحى اليوم، بعد أن بَعُد عنا – كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع رقعتها ويشف منظرها للرائى من بعيد فها هو ذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض – تتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة تُدبج عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما بعد يوم عن فكره، وأدبه، وعن شعره ونثره فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل (وطنى هو العالم). فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الألمام بغير ثقافته الخاصة ليصح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة.

ومن هنا دبج قلمه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له تقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب، هو العالم بما رحُب».

ألم يقرأ، ويقرأ حتى فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى بز أقرانه وفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم».

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة خاصة بالسودان الشقيق: «لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك، لما نجوت من العقاب». ويرد العقاد العظيم: «ولكن ليس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد».

والأستاذ الكبير العقاد ينطق عليه ما أرتأه المبرد فى البحترى عندما قال: «أبى الله إلا أن يكون عظيما فى جميع جوانبه».. فهو سيظل بين الناس دائما: «أبا العبقريات وعملاق الفكر العربى وشاعره المجيد الخالد وناقده الجبار والمثل غير المسبوق».

انظر إليه بعد خروجه من غياهب السجن فى ٨ يوليه سنة ١٩٣١ وهو يتوجه إلى ضريح الزعيم الراحل سعد زغلول وهو ينشد على قبره:

لبثت جنين السجن تسعة أشهر وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أقعدت لى ظلمة السجن عزمة فما كل ليل حين يغشاك مرقد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما سيعهدنى فى كل كما كان يعهد

وصفه الزعيم سعد زغلول بأنه:

«أديب فحل له قلم جبار، ورجولة كاملة، ووطنية صادقة، واطلاع واسع، ما قرأت له بحثا أو رسالة فى جريدة أو مجلة ألا أعجبت به غاية الإعجاب، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا، إحاطة ليس بعدها زيادة لمستزيد: «وله أسلوب أدبى فريد..».

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم.. وعالم فى ثوب أديب).. فهو على ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية، بين (عالم) لا يعرف شيئا عن (هوميروس) و (فرجيل)، وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظام الأفلاك.

«وكلاهما نصف إنسان».. أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب، أو يعرف الأدب، ولا يجهل العلم .. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان، وإنما هو كما قال «نيتشه»: أذن كبيرة أو لسان طويل، تمشى به قدمان؟!.

ومن هنا – جاءت عبقرية العقاد العلمية – التى فاق بها المتخصصين وبز بها المتعمقين فى مجال العلم نفسه.

فكان هو أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وذاعت على ألسنة الخاصة قبل العامة والتى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسب» وليس (للأصلح).. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم لنبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب الأحمر، فينبرى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة – يريد أن «يُدهشه» أو «يُعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى (برسيفال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. فيرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالمين، يدعى (برسيفال لويل)..؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك قد نفاه الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذيوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحيفة والإذاعية فى أوروبا وفى أمريكا؟!. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة امرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين، وجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى من المحدثين فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب.. وشخص بدقة متناهية أسباب وفاتهم.. وعلى غير ما دون عنهم – بشأن هذا – فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض.. فرفض أن يعالج خارج الديار، (لأنه لا علاج له) مشخصا حالته المرضية بدقة بالغة حتى أن عالما طبيا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وآخر من عاده فى مرضه الأخير: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه إلا واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين؟!.

وعندما مات العقاد – كتب الأستاذ أنيس منصور:

«لقـد قضى العقاد الطبيـب، على العقاد الأديب».. أعظـم المفكرين العرب فى القرن العشرين.

وفـى ذكرى يوم ميلاد العقاد العظيم، كاتب الوفـد الأول، والأديب اللوزعى، والحبر العلامة، نقول له: سـوف يظل يوم ميلادك يوما خالـدا فى قلوب عارفى فضلك ومقدِّرى علمك ومحبيك.. عبر تجدد الأجيال.. فى الحال وفى المآل.

❑❑❑

opeikandl.com

من خواطر الشباب
«حياة كالموت»
«يحياها اللاجئون الفلسطينيون»

فـى القرن الميـلادى الثانى.. وفى عـام ١٢٤ على وجه التحديـد اجتاحت الجيوش الرومانية بيت المقدس وحولته إلى مسـتعمرة أطلق عليها الرومان اسـم «إيليا كابيتولينا».. وأطلقوا على البلاد التى كانت تتاخمه حينذاك.. أى تتاخم بيت المقدس.. اسم «فلسطين».. وانمحت بذلك مملكة يهوذا اليهودية من خريطة الوجود..

وانبسـط النفـوذ الرومانى على تلك البقـاع العربية التى كان يسـتوطنها بعض العرب المسـيحيين ردحا من الزمن.. لاقى فيه اليهود الذين كانوا يجاورون العرب فى السـكنى فـى بعض جهات منها الذل والطغيان من الرومانيـين الغزاة.. حتى أن الكثيرين منهم لم يجـدوا بدا من الهجرة إلى مصر والعراق وبعض الأقطار الأوروبية فرارا وهربا، من جبروت الرومانيين وقسوتهم..

ولم يبق فى فلسطين وبيت المقدس إلا أقلية من اليهود تحملوا ما تحملوا من الرومان.. الذين صادروا ممتلكاتهم، وخربوا ديارهم، وأجبروهم على اعتناق المسيحية..

وحينمـا ارتفعت راية الإسـلام.. دخلت الجيوش الإسـلامية بقيـادة عمرو بن العاص فلسـطين وبيـت المقدس وطـردت الرومان من تلـك البلاد، التى أصبحـت من ممتلكات الإمبراطورية الإسلامية..

ثم غزا الأتراك السـلجوقيين أرض فلسـطين واسـتولوا عليها.. ثم جاء الصليبيون فى أعقابهم.

وجاء صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧ وطردهم من فلسطين، وخلصها من عبوديتهم.

وكان عهد صلاح الدين العهد الذهبى لليهود.. إذ سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين فتدفق سيسل المهاجرين إليها من بلدان غرب أوروبا..

ثم بسـط الأتراك نفوذهم على فلسـطين مرة أخرى عام ١٥١٧ إلى أن طردهم منها محمد على عام ١٨٣٢.. ثم تدخلت الدول الأوروبية فى أخريات القرن التاسـع عشـر.. وأعادت فلسطين إلى الحكم التركى العثمانى.

واندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فانضمت تركيا إلى الألمان ضد الإنجليز وحلفائهم، فحارب الإنجليز الأتراك، وانتزعوا فلسطين من أيديهم على يد اللورد «اللنبى».. الذى دخلها غازيا فى ٨ ديسمبر ١٩١٧.

وكان دخول اللنبى فلسطين بداية لمؤامرة عالمية دبرها الاستعمار الإنجليزى ضد الشرق العربى لإنشاء وطن قومى لليهود المشتتين فى الآفاق، فى أرض فلسطين العربية!! لتحطيم شوكة العرب، وتمزيق وحدة بلادهم، وأصابتهم بالسرطان اليهودى فى موضع الإحساس المرهف من جسم أمتهم، ألا وهو فلسطين ،وذلك لأن الاستعمار رأى فى العرب قوة جديدة تهدده.. وتتهدد وجوده وكيانه.

ثم كان الدافع الأكبر على ذلك أيضا، وهو التعصب الغربى المسيحى ضد المسلمين والمسيحيين الشرقيين على السواء، فعندما دخل اللورد اللنبى فلسطين فى اليوم الذى ذكرناه آنفا ٨ ديسمبر ١٩١٧ رشق بسهمه قبر صلاح الدين الأيوبى، قائلا: «اليوم قد انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين؟!!».

وهى عبارة تكشف عن الحقد المضطرم فى قلب القائد الإنجليزى الصليبى ضد العرب والمسلمين «فلم ير اللنبى يومئذ فى فتح فلسطين انتصارا على الألمان، ولا على العثمانيين أعداء بلاده، ولكنه رأه انتصارا على العرب والمسلمين الذين غلبت آباؤهم أجداده فى حرب باغية دارت رحاها باسم الصليب فى تلك الأرض المقدسة منذ قرون»!.

وهذا القائد الإنجليزى يمثل عقلية الغرب المستعمر من إنجلترا وفرنسا وأمريكا الذين يفهمون من كلمة الصليب البطش بالعرب مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة لهم دائما على أهل الشرق جميعه!.

لذلك فعندما بدأت الاضطهادات تأخذ شكلها الجدى ضد اليهود فى روسيا ورومانيا والنمسا وألمانيا، وتكونت على إثر ذلك جميعات «عشاق صهيون» التى قادها ونشر رسالتها «هرتزل» الصهيونى والتى كانت تهدف إلى زرع وطن قومى لليهود فى فلسطين أو أرض الميعاد كما كان يطلق عليها غلاة اليهود رأى الاستعمار الفرصة سانحة لكى يضرب ضربته ضد العرب، فكان وعد بلفور عام ١٩١٧، «الذى كان بداية المؤامرة».

ثم كان يوم تقرير المصير، ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٧، وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تبحث مشروع تقسيم فلسطين بين أصحابها وبين اليهود الذين نقلتهم الحركة الاستعمارية اليهودية إليها.

ووقـف رئيس وفد الفلبين «الجنرال كارولوى روموله» فى الجمعية العامة للأمم المتحدة يجأر قائلا: «إن حق كل شـعب فى أن يقرر مسـتقبله السياسـى بنفسه، وفى أن يحتفظ بوحدة أراضى وطنه حق أساسـى لا شـك فيه، ولا يقبل النقض، لذلك فإننا لا نسـتطيع أن نصدق أن الأمم المتحدة يمكن أن توافق على حل لمشـكلة فلسـطين يخالف هذا المبدأ. أو أنهـا يمكن أن تقودنـا إلى طريق المبادئ الخطرة القائمة على التمييز العنصرى، أو نظام الحكومات الدينية المنقرضة».

هذا ما قالته الفلبين على لسان رئيس وفدها، ولكن الفلبين التى عارضت التقسيم بكل هذه القوة والحرارة، عادت وأعطت صوتها لمشروع التقسيم بعد ذلك: بيومين اثنين فقط!!.

ولم تكن الفلبين هى الدولة الوحيدة التى هاجمت مشـروع التقسـيم، ثم عادت فوافقت عليه، فقد عارضت هايتى وسـيبريا وليبريا ودول أخرى عديدة مشروع التقسيم، وهاجمته وفودها بشـدة كاشـفة الظلم الفادح، والأخطار الجسـيمة التى تهدد الإنسانية بتنفيذ هذا المشروع، أو الموافقة عليه..

وفى جلسـة الاقتراع حدثت الفضيحة! تراجعت هذه الدول جميعا وغيرها عن موقفها السابق والذى لم يتراجع منها امتنع عن التصويت، وكانت أعظم فضيحة شهدها المجتمع الدولى فى التاريخ الحديث!!..

وكان السـر وراء تراجع هاتيك الدول عن موقفها السـابق إزاء مشروع التقسيم الولايات المتحدة الأمريكية.. زعيمة العالم الحر! فقد استخدمت نفوذها الضخم فى الضغط على هذه الدول لتغير موقفها لأنها هى وحليفتيها بريطانيا وفرنسـا كانوا مصممين على إنشـاء وطن قومى لليهود، ولو على أشـلاء أصحابها الأصليين، ولو على أنقاض ميثاق الإنسـان وسائر القوانين والمواثيق الدولية، ولو على حساب شرف بعض الدول وكرامتها!!.

وكان نهاية المؤامرة!، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها المشـئوم الذى كان سبة فى تاريخ الإنسانية! القرار الذى حكم على فلسطين العربية بالموت والعناء والعذاب والتشريد.

القرارالـذى عاد بالإنسـانية إلى عصور الهمجية، ولعب فيه الغـش والخديعة والطمع والخيانة دورا كبيرا، وصدر فى سـاعة طيش ونزق من أناس لا يمتون إلى الإنسـانية بصلة ولا ضمائر لهم، ولاهم لهم إلا التمتع على حساب الغير!.

القرار إلى فرح له الظلم وجذل.. وبكى عليه الحق وحزن..!

القرار الذى حكم على مليون لاجئ عربى بالتمزق والتشتت من أجل حفنة من اليهود كانت مشردة فى الآفاق، واليوم يعيش فى الصحراء فى العراء! فوق الأرض، وتحت الثرى! مليون لاجئ فلسطينى هم ضحية من ضحايا الإنسانية! وقربان من قرابين الحرية!.. يعيشون بدون مأوى.

فقد كان لهم وطن، فأصبحوا بلا وطن، ويعيشون فى حرية ففقدوا حريتهم!. كانت لهم كرامة، فديست كرامتهم!.

كانت لهم منازل وبيوت، فأصبحوا يبيتون فى العراء الأرض فراشهم.. والسماء غطائهم!!.

كانت السعادة ترفرف عليهم بجناحيها ناشرة المحبة والسلام والطمأنينة بين قلوبهم، فأمسى البؤس والشقاء يخيم عليهم بعد ماطردوا من ديارهم وشردوا فى الآفاق.

وهناك حيث لا تسمع إلا عواء الذئاب، وفحيح الأفاعى!. وحيث لا ترى إلا صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضرع!، ولا حياة فيها ولا نماء!.. حيث الصمت المطبق، والسكون العميق الذى لايقطعه إلا صرخات طفل جائع، أو زفرات أم ثكلى، أو أنات شيخ فان.. هناك وعلى مدى البصر يمكنك أن ترى اللاجئين آلافًا من الأكوام البشرية مكدسة بعضها فوق بعض..!

طفولة بريئة حلوة تفتح عيونها أو ما تفتح على الهم والحزن، وتتحمل أجسامهم وأجسامهم الغضة الهون والعذاب!.

أمومة معذبة تتحمل ما تتحمل فى سبيل تربية زهور يانعة، ومحاولة إثمارها فى أرض جدية!.

أبوة تعسة شقية وهى ترى فلذات أكبادها تنصهر فى بوتقة مؤلمة من الجحيم ولا تستطيع لها ضرا ولا نفعا!..

شباب مكدود ليس له إلا الحزن والتحسر، الحزن على غده الضائع، والتحسر على مستقبله المفقود!.

شيبة فانية كانت تنتظر الراحة والأمان، فلم تجد إلا التشريد بلا كساء أو غذاء أو دواء!.

أكواخ ومنازل من بقايا صوف أو قماش تقع تحت رحمة الطبيعة القاسية، والريح الصرصر العاتية، وهى هنا «كالريشة التى حيثما تسيرها الريح تسير!».

وقصص مؤلمة مثيرة عن حياة اللاجئين!.

فهذه أم وطفلها.. فى ليلة من ليالى الشـتاء القارس البارد هما فيها المطر بشـدة حتى غطـى الأرض ببحر من الميـاه عباب.. فخافت الأم على وليدهـا الصغير الذى بدأ الكرى يتسلل إلى عينيه، وبدأت تبحث عن مكان تضجعه فيه، ولكن أنى لها؟، فقد غمرت المياه كل ركن من أركان الأرض؟، واهتدت الأم إلى وسيلة ظنت المسكينة أنها بها ستدفع الأذى عـن ابنها، نامت هى على الأرض بظهرها فوق المياه.. وحملت طفلها على بطنها.. لتمنع عنه شر المياه الباردة القاتلة التى ينوء بها جسمه الصغير.

وطلع الصباح، وكان الاثنان الأم، والطفل جثتين هامدتين، قتلهما البرد والصقيع!.

هذا مثل بسيط من حياة اللاجئين!، حيث الفقر والجوع، والعذاب والحرمان، وحيث المفازة المهلكة التى يحيا فيها اللاجئون.

حيث الطبيعة القاسية التى قهرتهم.. وعبست فى وجوههم..

حيـث الحرارة اللافحة المحرقـة فى الصيف، وزمهرير المطـر، وومض البرق، وزئير الرعد فى الشتاء!.

حيث لا يجد اللاجئون السدف التى يسترون بها أجسامهم!.

حيث لا يجد اللاجئون غير الماء القراح حساء لهم!.

حيث تتساقط الأرواح كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف!..

حيث يحفر كل لاجئ لنفسه قبرا يثويه بجانب القبرالذى يعيش فيه..!.

حيث يردد اللاجئون كل يوم قول «داود النبى»:

«إلى متى يارب تنسانى كل النسيان..

إلى متى تحجب وجهك عنى..

إلى متى اجعل هموما فى نفسى وحزنا فى قلبى كل يوم.

إلى متى يرتفع عدوّى علىّ.

إلى متى يارب؟!..».

أنين مفجع حزين، وأمل ورجاء، من خلال هذه الحياة المؤلمة التى يحياها اللاجئون.

الحياة الشبيهة بالموت.. والحياة التى تشنأها النفوس وتأباها..

مــن خلال ذلك الجرح الدامى الذى لن يندمل فى قلوب جميعا إلا بعودة اللاجئين إلى إلى أرضهم ووطنهم.

ولنتذكر جميعا قول «اللورد بيرون» اليهودى الذى كان يتغنى به:

«إن للحمامــة البيضاء عشــا صغيرا، وللثعلب وكرا، ولكل إنســان وطنه، إلا اليهود.. فلهم القبور!».

❑❑❑

obeikandl.com

من خواطر الشباب .. من وحى القرية

إنها صورة أحببتها.. وكلفت بها..!

إنهـا صـورة همت بها.. وددت من كل قلبى وجوارحى لو أنهـا معى دائما وأتأملها، وأرشـف منها قطرات الأمل والسعادة.. السعادة التى لطالما وهبتها لى تلك الصورة الحبيبة الجميلة..!

وأتمتع بما كنت دائما ومازلت أجده فيها من حب وطمأنينة.. وهدوء وسكينة!..

بعيدا عن هذا العالم الصاخب.

بعيدا عن هذا العالم المضطرب.

بعيدا عن هذا العالم المجنون.

بعيدا عن هذا العالم الحزين.

بعيدا عن هذا العالم الكئيب.

بعيدا عن هذا العالم الذى داس على مقدسـات الحياة فامتهن الكرامة.. وباع الشرف.. وعزب الحرية.. وشوه الجمال.. وعبث بالحب.. وعصف بالسلام!!..

وفـى هـذا العالم رأيتهـا ثانيـة!.. رأيت الصـورة الحبيبة!.. بعد فـراق دام خمس سنوات!.

أى والله – يا أخى – خمس سنوات.. كانت عندى وكأنها خمسة قرون!.. نعم خمسة قرون!.. فلم اعتد أبدا أن أغيب عنها أو تغيب هى عنى مثل هذه الغيبة الطويلة..

مامـن فرصة سـنحت لى إلا وهرعت إليها.. أبث لها غرامـى، وتبث لى هى الأخرى غرامها!.. كانت دائما حلوة سـاحرة.. كانت دائما مبتسـمة ضاحكة رائعة مثيرة.. مثيرة بفتنتهـا.. وطبيعتها الخلابة.. وأرضها الفيحاء الواسـعة.. وهدوئها المسـتقر، وسـكونها العميق.

مثيرة بشمسها الساطعة.. وأضوائها المشرقة الضاحكة.

مثيرة بمياهها.. بأشجارها.. برياضها وطيورها.. قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة حيث المـرح البرىء، وحيـث التمتع بالحياة الرخية الهادئة، وحيث الابتسـامات والضحكات العالية التى كانت تخرج من القلوب معبرة عن ابتهاجنا وفرحتنا وصبورنا..

كنا نقطن آنذاك فى الإسكندرية.. وكانت أسرتى كلها تبقى فيها إلا أنا فكنت أطير إليها أقضى فيها ردما من الزمن وبعضا من الوقت.. كان هو أحلى أيام حياتى..

وغبت عنها طويلا.. ثم رأيتها هذا العام.. رأيت «قريتنا» الحبيبة.. وكان ذلك فى شهر سبتمبر.

وشهر سبتمبر من أجمل شهور السنة عندى، وهو كذلك من أجمل شهور السنة فى الريف المصرى عامة.. ففيه تتفتح عيدان القطن الأخضر عن الذهب الأبيض.. وفيه تتوهج الحقول.. وتتوهج معها الآمال.

وفيه يصحو الريف من ركود الصيف الطويل.. وأيامه الثقيلة المملة..

وفيه يبدأ الحصاد.. ويبدأ معه المال يتدفق فى جيوب الفلاحين بعد مجهود جهيد.. وكفاح وكدح دام طويلا.

وفيه السهر والسمر، والنكات التى يتندر بها الفلاحون بين الآونة والأخرى.

وتأملت القرية التى غبت عنها طويلا.. وتأملت الريف الذى حرمت منه زمنا كان كثيرا.. تأملت القرية.. وتأملت الريف والسعادة ترقص فى قلبى، والدموع تترقرق فى عينى.

هذه هى قريتنا الجميلة التى قضيت فيها أياما حلوة هنيئة.. هذا هو ريفنا الذى تمتعت به وبمناظره وسحره ودلاله!.. هذه هى الحقول التى كنت أمرح بين ربوعها.. مع لداتى وقرنائى..

من هذا الحقل كنا «نأخذ» الخيار ونأكله!..

ومن هذا الحقل كنا نقتلع أعواد القصب!..

وهذا الحقل، هو حقل الخوخ الذى طالما ملأنا جيوبنا منه مع استنكار عم إبراهيم وصيحاته، ومطاردته لنا!.. فالأرض أرضنا ولكنه لا يعلم.

وهذا الجامع.. جامع «سيدى المرشدى».. الجامع الأشهر فنشعر فيه بذاتنا وبأننا قد كبرنا وصرنا رجالا، ووجب علينا أن نؤدى فرائض الصلاة كما يؤديها الكبار!..

وهذه الترعة، هى نفسها الترعة التى طالما «قهرتها»!، بذراعى الصغيرين سابحا، مع تحذير والدى لى بعدم النزول فيه حتى لا أصاب بالأمراض..

وهذا هو السوق.. سوق القرية الصغير الذى كنا نلعب فيه دائما لعبة «استغماية» فرحيق مبتهجين.. «والدوار» العتيق بيت الباشا.. الذى طالما «والسرب الضيق» الذى مازال ضيقا، صحبنى والدى إليه وعرفنى بكبار الشخصيات.

وشـجرة الجميز.. ها هى.. يـالله!.. لقد كبرت ونمت نموا كبـيرا.. وأصبحت دوحة ضخمـة فارعة.. لقد خططت اسمى عليها منذ سـنوات.. أتـراه كما هو؟.. أترى الأيام لم تمحه؟.. لا إنه قد زال ولم يبق له أثر..!.

وذاك هو قصر «بهى الدين باشا».. القصر العتيق الذى بناه الباشا ولم يستكمله.. إنه كما هو، ولكنه حزين لقد فقد السـعادة التى كنا نعيشـها بين حجراته وردهاته بمرحنا ولهونا والبشر الذى كان يعلو وجوهنا!!.

هنـا كنا نجرى ونضحـك بأصوات عالية كانت تتردد بين جنبـات القصر فتعيد إلينا الصدى قويا.. الصدى الذى كثيرا ما خفنا منه، وظنناه صوت طاغوت أوشيطان!!..

والمقهى الذى كنت أسهر فيه مع صحبتى المختارة أستمع إلى «الشيخ محمد الحرصانى» وهو يضرب لنا على الربابة، ويقص علينا قصته المشوقة.. قصة «أبو زيد الهلالى»!..

«والمنشر» الواسع الذى لعبنا فيه الكرة كثيرا لقد امتلأ بالأكواخ، والساكن.. إنها زحمة الحيـاة، وهذا جمع من الفلاحين ذاهب إلى حقله.. وجمع آخر قادم من أرضه بعد سـهر مضن طويل..

وذلك جمع آخر من الصبية والفتيات يجمعون القطن فى حيوية ونشاط يتغنون بأغانيهم وأهازيجهم المحببة التى تبعث فيهم العزم، وتنسيهم تعب اليوم ومشقته.

وذلك آخر يعمل على رى الأرز وتحويل الماء إليه من الجداول..

وتغرب الشـمس.. ويشرق القمر وكأنه سر وسـحر يتسلل بين الأوراق والأغصان ويرسم على الأرض الندية ظلالا من النور والخير والجمال..

وهؤلاء هم العائدون من الرجال والنسـاء والصبية والبنات من كدح النهار، حيث أتموا عملهم وأنجزوا مشاغلهم، ولكن أنظر!.. انظر إلى وجوههم لا يبدو عليها التعب، بل إشراق وآمال، وأمان وأحلام البسـمة الحلوة، فـى وجوههم، والأغنية الرقيقة على أفواههم إنهم يرضـون بالقليل.. ويحمدون ربهم أن منحهم هذا الخير العميم الوفير.. الحمد لله.. الحمد لله إنهم يقبلون أيديهم شـكرا لله وحمدا له، ولا يطلبون منه سـوى الستر وأن يديم عليهم نعمته، ويسبغ عليهم رحمته..

ويؤبـون إلى بيوتهـم يقصد كل منهم على الآخـر ما حدث له فى يومه، أو ما جد على القرية من جديد، أو ينبشون فى خبر قديم يثيرونه ويتلهون به..!.

شمل مكتمل.. وقلب ممتلئ.. وسعادة تطفو على الوجوه..

وأخذت الأيام تجرى.. أيام سبتمبر الجميلة الرائعة.. حتى اقترب على الرحيل ..

ومضى سبتمبر.. مضى كأجمل ما يكون – بين طبيعة ساحرة وأخوة أحباء وأصدقاء خلصاء، وأناس ينشرون الأمن والحب والسعادة بينهم.. وذكريات فيها الأمل والحياة.

مضى سبتمبر الشهر الساحر الجميل..

مضى سبتمبر الشهر الفاتق الحبيب..

مضى سبتمبر بسره وسمره ولياليه..

مضى سبتمبر جامع الشمل، ومفرقه!..

بالقسوة الأيام!.. إنها لا تعطيك كل ما تطلب أو تتمنى..

يا لقسوة الزمن هو الآخر!.. إنه لا بتركنا نعيش فى سلام، لا يتركنا فنعم بأيامنا التى لها عبقها وأريجها.. ونستعيد ذكرياتنا الأثيرة لدينا، لابد وأن يفرق بيننا كما فرق بالأمس.. يا إلهى!.. عما قريب سأترك الطبيعة الساحرة .. سأترك الأرض الطيبة.. سأترك جنة الله فى أرضه!.. وإلى أين.. إلى المدينة بريائها ونفاقها.. إلى المدينة بمظاهرها الخداعة.. إلى المدينة حيث التشاحن والتباغض وكره الإنسان لأخيه الإنسان..

وكلما شعرت بذلك أزداد ألمى.. وأزددت تعلقا بالريف وتشبثا به..

ولكن أصبح الأمر واقعا، وجاء وقت الرحيل!.. وانتزعت قدمى من هذا الثرى العزيز وكأنى أنتزع نفسى وسارت بنا السيارة مسرعة تنهب الأرض نهبا، وكأنها تزيد أن تبعدنى عن هذه الصورة.. صورة قريتنا.. بدون أن يودع كل منا الآخر!..

ومرت أمامى مشارف القرية بأشجارها الضخمة الطويلة التى ضربت أعمارها فى الزمن البعيد، وكأنها حراس الله فى أرض وقفت لتحرس القرية من كيد الكائدين.

رويدا وريدا أخذت الصورة تختفى مسرعة من أمام ناظرى، وكأنها كانت سرابا لا تمت إلى الحقيقة بصلة.. وبعدت مرة أخرى عنها.. عن القرية الوادعة.. ذات الحقول اليانعة، والقلوب القانعة.. والنفوس الوادعة، والضمائر الحية النقية..

وتركت القرية وكأنى قد تركت قطعة من ذوب الفؤاد!.. والآن لقد تفرق الشمل.. وأصبحت فى المدينة الكبيرة.. فى القاهرة بضواحيها المتباينة، وسكانها وسياراتها وضوضائها والسابلة التى يزرعون طرقها آناء الليل وأطراف النهار..

وأحسست بالدموع تنهمر من مقلتى!.. إنها دموع الفراق.. دموع الوفاء.. دموع الوداع!..

ولكن!.. لماذا لا أحب القاهرة كما أحب الريف؟.. لماذا لا تستهوينى صورة القاهرة كما تستهوينى صورة قريتنا؟..

إن القاهرة هى عروس مصر!.. جميلة واسعة بها الملذات التى يتمناها الإنسان ولا يتمناها!..

بها الملذات المحرمة والمحللة!..

بها الملاهى ودور السينما.. بها المسارح والأندية بها العجائب والمعجبات!.

بها ما يعزى المرء ويغويه!.. بها كل ما يتمناه الشباب!..

ولكن لا!.. إن الحياة ليست فى الجمال فقط..

وليست فى المتع!.. وليست فى الملذات!..

ولكنها فى نقاء السريرة.. فى حب الناس بعضهم لبعض.. فى الإخلاص.. فى الوفاء.. فى القناعة.. فى الرضى بما قسمه الله.. فى الصبر.. فى الهدوء.. فى السكينة والسلام.

وكل هذه أشياء موجودة فى الريف.. موجودة فى قريتنا بل هى قطعة منها.. ولكنها غائبة فى القاهرة، أو هكذا يبدو لى!..

ففى القاهرة لا تجد غير الرياء.. غير النفاق، غير كره الإنسان لأخيه الإنسان.. غير الحقد.. غير الضوضاء المزعجة حيث الحياة الصاخبة!.. حيث التحضر والمدنية الزائفة التى عصفت بالناس، وأعمت قلوبهم وضلت بهم عن طريق الهداية!..

لذا فأنا أحب الريف.. أحب قريتى الصغيرة.. حيث السكنية والهدوء..

حيث الطبيعة بنقائها ورونقها الإخاء..

حيث الإنسان النقى التقى الذى لم يدنس بعد..

حيث الحب.. الحب الذى ذهب اليوم من الوجود.. أو كاد..

حيث الإخلاص فى أجل الصورة.. والوفاء فى أجمل مظاهرة..

حيث السلام هادئ آمن مستقر.. لا يخاف!..

لماذا لا تكون القاهرة كقريتنا؟!.

بل لماذا لا يكون العالم كله كقريتنا؟!.

لماذا لا يكون مسالما يرفرف فيه الحب.. ويتغنى فيه السلام؟!.

لماذا لا يكون وديعا مستقرا هادئا ينعم بالراحة والهدوء؟!.

لماذا لا يكون تجار الحروب كفلاحى قريتنا قلوبهم زكية وضمائرهم نقية؟!.

لماذا لا يكون فيه اخلاص وحب ووفاء.. بدلا من الكراهية والحقد والشر والدهاء؟!.

لماذا لا يكون مبتسما سعيدا هنيئا؟!.

بدلا من هذه القلاقل والاضطرابات..

بدلا من هذه المآسى والدموع والآهات..

بدلا من ذاك الحزن.. وذلك الألم؟؟..

كلما تذكرت صورة قريتنا، كلما لاح فى خواطرى كل هذه الاستفسارات.. بل الأمنيات..

وكلما تذكرت الحقول الخضراء الممتدة على مرمى البصر تشهد على قوة الخالق وعظمته.. وتشير إلى دلائل حكمته.

وكلما تذكرت أشجار التوت والجميز، وتلك الحمائل الخضراء التى تتشابك فروعها فى أشكال لولبية، وكأنها تتهامس وتتصافح.

وكلما تذكرت صورة الفلاحين والرضى على وجوههم.. والأمل فى عيونهم.. والسعادة تترقرق فى قلوبهم، وهم يعملون ويكدون ويكدحون.

كلما تذكرت تلك الحياة الهادئة.. والجو الصافى الذى لا يعكره ولا يقطع سكونه غير صوت المؤذن يصيح كلما آن وقت الصلاة.. الله أكبر.. الله أكبر.. يُذكر من يخشى، ويُشجع العامل، ويُنبه الغافل، ويَعظ الظالم، ويُنصف المظلوم..

كلما تذكرت الطبيعة الضاحكة المبتسمة، التى يشبع فيها المرح والسرور.. ويشرق منها الأمل الباسم والوضاء..

كلما تذكرت كل ذلك.. أيقنت أنه لن يكون هناك إلا سلام.. سلام دائم.. يزيدنى أملا فى المستقبل وحبا فى الحياة!..

لن تكون هناك حرب.. لن تراق بعد ذلك دماء.. لن تزهق أرواح أبرياء.. لن تتكرر هيروشيما ونجازاكى ثانية، لن يصطلى العالم بعد ذلك بحرب فانية!..

إن تلك الملايين من الجنيهات التى تصرف كل يوم على أدوات الحرب، ومعداته نستطيع أن تفعل المعجزات.. تستطيع أن تحول الصحراء إلى جنة فيحاء..

تستطيع أن تقضى على الأمراض الفتاكة التى تهدد الإنسان بالفناء.

نستطيع أن تحول الأكواخ إلى قصور..

تستطيع أن تبنى وأن تشيده وأن تجعل الإنسان يعيش مرفها يرفل فى حلل السعادة والحبور.. وسيجئ اليوم الذى يحدث فيه هذا، إنه قريب وليس بعيد.. سيجئ اليوم الذى أرى فيه العالم صورة جميلة رائعة كما أرى صورة قريتى!..

سيجئ اليوم الذى يهدأ فيه الأمن.. ويستقر السلام.. السلام الذى سيذهب عن البشرية القلق الذى تحيا فيه.. ويقضى لهم على شبح الحرب المخيف..

السلام الذى سيجعل من تجارة الحرب تجارة كاسدة وسيحطم أسلحة الموت والدمار.

التى أعرف أن النبوءة أكبر منى، ولازلت أذكر قصة «اللورد بيفربروك» التى ترجمها كاتب أديب.. لقد تنبأ مثلى فى عام ١٩٣٩ بأن الحرب لن تقوم ونشر فى جريدته الديلى اكسبريس مانشت ضخم يقول: «لن تقوم الحرب».

وبعد بضعة أشهر من تلك النبوءة قامت الحرب.. ومع أنه قد مضى على هذا المانشيت ثمانية عشر عاما فلا يزال الشعب الإنجليزى يذكره ويعير به صاحبه.. «يفربروك» فى كل مناسبة حتى أنه أخرجت رواية إنجليزية أخيرا عن الحرب.. حرص المخرج الإنجليزى فيها بعد أن عرض على الشاشة منظر قتل الملايين وتدمير المدن ونسف بواخر الركاب.. حرص على أن يصور بين مناظر الغرقى جريدة الديلى إكسبريس وهى تطفو على سطح البحر وكتب عليها المانشيت الذى يقول.. لن تقوم الحرب!..

ولكننى يا أخى مع ذلك أؤمن وأبشرك بأن الحرب لن تقوم..

إننى لست وحدى الذى أؤمن أو أتنبأ بذلك.. هناك غيرى كثيرون اهتدوا وآمنوا بذلك.. ومن هؤلاء كاتب أمريكى يدعى «الدوق هوج».. آمن بأن الحرب لن تقوم.. وأن السلام هو الذى سيكون على الأرض فكتب مقالا من نسج خياله، ومن بنات أفكاره أسماه «التمرد العلمى الكبير».. وجعل حوادثه تجرى بعد ١٠ سنوات.. قال فيه: «نحن الآن فى عام ١٩٦٧، والدول التى تملك سر صنع القنبلة الهيدروجينية أصبح عددها سبعا وهى: اليابان وألمانيا الغربية والسويد، والصين الشعبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا.. وقد نجح الروس والأمريكان فى إقامة محطات الفضاء، وأصبح فى إمكان كل منها بمجرد الضغط على زر أو أزرار.. أن تطلق فى الفضاء قذائف هيدروجينية

مـن محطتهـا المقامة فى الفضاء تدمر غريمتها على وجه الأرض تدميرا تاما.. أى أن الفناء الشـامل أصبح فـى مقدور كل منها.. وهو فناء تام لا توجد ضده أية وسـيلة من وسـائل الدفاع.

واسـتطرد الكاتب الأمريكى يقول: ولهذا السـبب وبمناسـبة الذكرى العاشرة لانعقاد مؤتمـر بوجـواش (يوليه ١٩٦٧) قرر علماء العالم أن يعقدوا مؤتمرا دوليا يعمل على وجوب «إنقاذ البشـر.. ونسل آدم وحواء». وعقد المؤتمر فعلا.. ولقد وافق المؤتمرون بالإجماع على أن ولاءهم يجب أن يكون الآن للبشرية لا لأية حكومة أو لأية دولة..

ومضى الأمريكى قائلا:

وهكـذا انطلقـت الشـرارة الأولى فـى «التمـرد العلمى الكبـير» الذى وقـع ١٩٦٧.. وعبر المحيطـات والقـارات.. وفـى كافة الدول.. أضـرب العلماء والمهندسـون عن صنع الأسلحة الذرية من أى نوع كانت ثم راحوا يدمرون ويغرقون المخزون منها فى أعماق اليم، والذى مازال فى مراحل الإعداد.

وأصبح العالم ذات يوم، وقد خلا من كافة أنواع الأسلحة.. اللهم إلا من البنادق العتيقة والمتاجر.. (ونجا العالم والبشرية من الفناء.. واستقر السلام على وجه هذه الأرض).

هـذا ما كتبه الكاتب الأمريكى.. فى مقاله، قد تسـخر منه، وقد تسـخر منى أيضا، ولكنها الحقيقة يا أخى! فلن تكون هناك حرب.. وسيسـتتب السـلام على وجه الأرض مهما كره الكارهون.

فاعمـل يـا أخى.. بجد وإخـلاص ولا تخف.. أبدا من الغد فإنه بالرغم من السـحب الداكنة السوداء التى تتجمع فى الجو.. فهو غد مشرق وضاء..

ثق فى نفسـك.. واعمل اليوم لتجنى غدا.. اعمل لبناء مستقبلك.. فقد سألوا مرة العالم الإنجليزى «شالز كاترنج».. فقالوا له: لماذا تتحدث كثيرا عن المستقبل. فرد عليهم قائلا: «لأننى سأقضى بقية حياتى فيه»؟..

شكرا لك أيتها الصورة الجميلة..

شكرا لك يا قريتنا الوديعة الحبيبة.

فمنك استمددت الأمل.. فأنرت به الطريق لنفسى.. ولعلنى أنرت به الطريق لغيرى!..

❑❑❑

منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ ؟!..

ولـدت بقرية منية المرشـد مركز مطوبس «فوه سـابقاً» وترعرعت بـين جنباتها وكنت أجوس وأنا مازلت غض الإهاب بين أروقتها أتنسم فيها الهواء العليل والنسيم البليل جذلا فرحا مسـرورا، أترك مدينة الإسـكندرية حيث كان والدى يعمل قاضيا، نازحا منها إليها فى إجازاتى الدراسـية، وفى الأعياد والمناسـبات الدينية حيث مقر أسرة والدى ووالدتى عليها رحمة الله.

هذه القرية التى أنجبت لمصر بعض زعمائها وقادتها الأجلاء منهم:

١ – فتحى الله باشـا بـركات: وكان عمدة لها ولم يرتـض بالعمدية فارتقى إلى عضو الجمعية العمومية عام ١٩١٤ عن طريق الانتخاب العام، وأُنعم عليه برتبة الباشـوية عقب زيارة اللورد «كتشنر» له، بمنية المرشد عام ١٩١٧.

وتقدم صفوف الثائرين مع خاله «سـعد زغلول» عام ١٩١٩ واشـترك فى تأليف الوفد المصـرى، حتى أصبح وكيلا له، وكان أول من نادى بعدم منح الرتب والنياشـين لأعضاء الهيئة النيابية، وقد نفاه الإنجليز إلى جزيرة «سيشـل» مع سـعد زغلول وعاطف بركات ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا، وذلك بأمر السلطات البريطانية عام ١٩٢١، وأفرج عنهم عام ١٩٢٣م، تولى منصب وزير الزراعة ثلاث مرات، كما تولى وزارة الداخلية، وكان لـه الفضل الأول فى نشـر الجمعيات التعاونية الزراعية والاسـتهلاكية، وقد توفى عام ١٩٣٣.

– وقد كانت منية المرشد فى عهده مهبط زيارات العظماء من رجال السياسة.. فقد زارها مـن أعضاء الوفد المصرى «حمد الباسـل، ومصطفى النحـاس، ونجيب الغرابلى، وعثمان محرم، وحمدى سـيف النصر»، وذلك بمناسـبة العودة من «سيشل».. وأقيم بهذه المناسبة أحتفـال كبير بالسـراى أو «الدوار» كما أقام الحاج أحمد الفتيانـى صوانا كبيرا أما منزله بجوار مسجد «سيدى فتح»، ودعا إليه «الشيخ البواب» من قرية فوه لقراءة القرآن الكريم، وإنشاد الأغانى ابتهاجا بالعودة من سيشل.

٢ – محمـد عاطف بركات باشـا : ولـد بالقرية عام ١٨٧٢ وتعلم فى كتاب الشـيخ أبو العينين سـلام بالقرية، وفى سـن ١١ أرسـله والده إلى القاهرة فتعلم بمدرسة الجمالية

الابتدائية وكان معه فتحى زغلول وعبد الرحمن زغلول، وكان أصغر منهما سنا، وأقام مع خاله سعد زغلول بمنزله بعابدين ثم واصل تعليمه فى الأزهر الشريف والتحق بدار العلوم، وتخـرج فيها وعمل بالتدريس .. ثم سـافر فى بعثـة حكومية إلى إنجلترا عام ١٨٩٦ وعاد للعمل فى مصر.. ووصل فى الوظائف إلى ناظر مدرسة القضاء الشرعى حيث كان هو المؤسس له بمسـاعدة خاله سـعد زغلول .. وقد نفاه الإنجليز مع شـقيقه فتح الله بركات وخالهما سـعد زغلول إلى سيشـل، وكان لعاطف باشا بركات شـخصيته مميزة وقد ترك أثارا بالغة فى نفوس من عملوا معه، وكان على رأس من تأثر به حيث تتلمذ على يده الأستاذ «أمين الخولى»، وقد توفى عام ١٩٢٤.

٣ – الدكتور محمد بهى الدين بركات باشـا: ولد بالقرية وتعلم فى كتّابها، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أتم تعليمه وتخرج فى مدرسة الحقوق المصرية، ثم سافر إلى فرنسا حيث نال درجة الدكتوراه فى القانون عام ١٩١٥.. وبعد عودته عمل أسـتاذا بمدرسـة الحقوق المصريـة.. ثـم انتقل إلى وظائف القضـاء وتقلد بعض المناصب الكبـيرة، وقد اختير وزيرا للمعارف فى حكومة الوفد برئاسـة مصطفى النحاس باشـا، ووزيـرا للمعارف مرة أخرى فـى وزارة محمد محمود باشـا.. وكان يفضل الاسـتقلال بعيدا عن الأحـزاب فى حياته السياسـية.. وكان بهى الدين باشـا أول من وضع مشكلة تعلم اللغة العربية موضع الدرس والبحث لكى ييسـر قواعدها لدى الناشئين عندما كان وزيرا للمعارف، وقد انتخب عضوا بمجلس النواب عن دائرة فوه، وعضوا بمجلس الشيوخ، وكانت له آراء صائبة فى مناقشات المجلس، كما عمل رئيسـا بمجلس النواب واشتهر بالنزاهة والحياد التام وحسن الإدارة، وكان قد أسـند إليه رئاسـة ديوان المحاسـبة «الجهاز المركزى للمحاسبات الآن» فى مبدأ إنشائه فأشرف على تنظيمه وإدارته، وحيث قامت الثورة على ١٩٥٢ اختير عضوا بمجلس الوصاية على العرش..

٤ – اللواء «محمد عاطف بركات باشا»: «خال المغفور له والدى المستشار محمد مرشدى بركات» أحد أعلام رجال القضاء، وكان من كبار رجال الشرطة ولعب دورا مهما فى كسر سلاسـل البرلمان المصرى ليمكن المعارضة من الولوج فيه وإبداء آرائهم المناوءة للقصر الملكى والإنجليـز، وتقلد منصب مفتش وزارة الداخلية وحكمدار مدينة القاهرة، وعقب وفاته رثاه حافظ إبراهيم بقصيدة عصماء قال فيها:

حملـــوا علـى النعــش الكريـــــم سلالة الحسب الكريم وصفوة الأمجـاد
ولا تعجبـوا فمـا كـان سـعدا خـالـه ألقـت لـه الأخـلاق كـل قـيـاد

٥ – المستشار محمد مرشدى بركات أول قاض يعين بالقضاء بمحافظة كفر الشيخ حمل رسالة القضاء فكان نعم من حملها. وعرف عنه النزاهة والإستقامة والجهر بكلمة الحق الذى لم يخش فيه لومة لائم وكان أول رئيس لمحكمة الجيزة الإبتدائية بدرجة مستشار عام ١٩٦٠. وله قلم شارك به فى العديد من المناسبات العامة والهامة التى مرت بها البلاد:

٦ – العمدة «محمد خواسك»: زعيم البلدة بلا منازع حيث كان يحاط من أهلها بكل توقير وحب واحترام إذ أنه نهض عليها وعمل على تقدمها وأقام بها مشروعات صناعية كبرى عادة على القرية بالخير العميم. وقد اختاره المرحوم كمال الدين حسين عضوا بمجلس محافظة كفر الشيخ.

٧ – الدكتور محمد خليفة بركات: أستاذ علم النفس ورائده فى مصر وله تواليف كثيرة فى هذا الخصوص حصل على الدكتوراه فى أوائل القرن الماضى من المملكة المتحدة.

وكنت قد أرسلت كتاباً لأستاذنا العقاد حثه فيه أن يكتب عن هذه القرية التاريخية. وتكرم بإجابتى لطلبتى فى جريدة الأخبار حيث جاء على النحو الآتى:

«ترددت كثيرا فى كتابة هذا الخطاب إليكم لولا أن دفعنى إليه نفر من أبناء بلدنى شاركونى الرجاء فى أن يشمل عطفكم ما به وأن يتسع صدركم للإجابة عما عنّ لهم ولى من استفسارات».

«فقد قرأت فى رحلات ابن بطوطة ما يلى عن بلدتنا منية المرشد. قال: سمعت أيام إقامتى بالإسكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون بعبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشفين.. ووصلت إلى زاويته منية المرشد ووجدت عنده الأمير سيف الدين بلملك وهو من (الخاصكية) لم ذكر ابن بطوطة بعد ذلك أنه قد جاءته رؤيا فى المنام وكاشفه بها الشيخ المرشدى وأنبأه بأشياء معينة وقعت له فيما بعد وجاءت كما أخبره سلفا هذا الشيخ الصالح.. والذى أود أن أسأل عنه: ما هو الاسم الحقيقى لبلدتنا هل هو منية المرشد كما تعرف الآن؟ أم بنى مرشد كما ذهب ابن بطوطة؟ أم ميت المرشد كما تقرأ فى المطبوعات الرسمية والحكومية؟.. ومن هم الخاصكية هؤلاء وكيف استطاع سيدنا المرشدى أن يتنبأ بأشياء هى فى عالم الغيب والغيب كما نعلم عند الله وحده «وأجاب أستاذنا

العقاد: ومسألة الخوارق والكرامات التى أشار إليها الأديب «المرشدى» من المسائل المطروقة المتواتـرة فى رحلة ابن بطوطة يذكر طرفا منها عن سـحرة الهند والمشـرق وطرفا أخر عن النسـاك الصالحين فى البلاد الإسـلامية، وبعضها مما رواه عن أهل الهند قد ثبت أخيرا أنه ضرب من المهارة مع التأثير (السـحرى) الذى نسـميه الآن بالتنويم المغناطيسى للأفراد أو للجماعات. وقد ذكر ابن بطوطة أن الشيخ المرشدى كان يزود ضيوفه بالطعام من الثمرات والمأكل فى غير أوانها، وهى خارقة سمعنا نحن نمثلها عن شـيخ ناسـك فى إقليم جرجا وشـهدها أناس لا نشـك فى صدقهم وفطنتهم، ومنهم المتعلمون والمثقفون، ومنهم الأذكياء الحصفـاء وإن لم يكـن لهم حظ وافر من المعـارف العلمية، وجملة هذه الخوارق شـبيهة بما يقـدر عليه زمرة المنومين ممن يعرضون أعمالهم فى المحافل العامة ويقول عامتهم إنهم يسـتعينون على هذه الأعمال بخفة الحركة مع التأثير المغناطيسـى بالنظر والإشارة وتكرار الكلمات التى تفعل فعل التخدير فى أسماع الناظرين المستغرقين فى النظر والانتظار.

وإذا كان القائمـون بهذه الخوارق أناسـا جادين متعبديـن فالراجح عندنا أنهم جادين متعبديـن والراجح أيضا عندنا أنهم يكسـبون القدرة عليها بطـول الرياضة على التلقين والإيحاء، وقد يفسر الرياضيون الذين يتعاطون رياضة (اليوجا) قدرتهم على خوارق الطبيعة بإمكان تسـليط الإرادة على جسـد الإنسان حتى يحتمل ما لا تطيق الأجساد احتماله بغير هذه الرياضة، وقد يزعمون أن تسـليط الإرادة على نواميس الطبيعة ممكن بعد طول المرانة عليها كنا يمكن تسليطها على الجسد الإنسانى وأجساد الحيوان على العموم .. وذلك زعم لم يقم عليه البرهان العلمى ولاسند له غير أقوال أولئك الرياضيين.

على أن ابن «بطوطة» لم يذكر فى خبره عن أبى عبد الله المرشدى أنه شهد بعينه كراماته فى أحضار الثمرات والمأكل فى غير أوانها ولكنه قال إنه سمع عنها وهو نازل بالإسكندرية قبل لقائه الشـيخ فى زاويتـه، وإنما ذكر ابن بطوطة تلك الكرامـة التى «سميتموها» علما بالغيب: وخلاصتها أنه رأى فى منامة رؤيا عرفها الشيخ فى اليوم التالى قبل أن يطلعه ابن بطوطة على تفصيلاتها، وليس فى علم الشـيخ بتلك الرؤيا ما يستلزم تفسيره بعلم الغيب، لأنها قد تفسر بالإيحاء الذى ينتقل من فكر إلى فكر فى اليقظة والمنام، ولكننا – على هذا – لا نرى أن العلم يسـتطيع الجزم باسـتحالة علم الغيب بإذن علام الغيوب، ولأن الحكم باسـتحالته لا يصح لأحد قبل الحكم القاطع بحقيقة الزمن وحقيقة المستقبل وما سيحدث

فيه: هل هذا المستقبل موجود الآن؟ أو هو معدوم الآن يوجد لحظة بعد لحظة؟ وإن كان معدوما فما هو الحد الفاصل بين لحظة عدمه ولحظة وجوده.

وإذا كان العقل البشرى لا يستطيع أن يجزم بحقيقة الزمن كله وحقيقة المستقبل المغيب عن العقول فليس له أن يحكم باستحالة الغيب ولا باستحالة نقله من علم الله إلى من يتمناه من عباده، وليس لأحد ـ على كل حال ـ أن ينكر أن النفس الإنسانية المشغولة بأمر مستقبلها قد تتصور ذلك المستقبل حلما قابلا للتفسير الصحيح على أسلوب شبيه بأسلوب التنجيم الذى نرجع إليه فى تفسير أحلامنا وما تبشرنا به من آمال نترقبها ونمثلها لأخلادنا الخفية على مختلف الأشكال والتعبيرات. وما من أحد شغل نفسه بأمل من الآمال إلا تمثله فى حلمه على صورة تتقبل التحقيق كما تتقبل الخلاف والمناقضة.

أما اسم البلدة فهو فى رحلة ابن بطوطة (منية بنى مرشد) وهو فى الخطط التوفيقية (منية ابن مرشد) وهو فى الأوراق الرسمية كما ذكرت (ميت مرشد) مختزلة كما هو ظاهر من كلمة (منية) التى يقول العارفون باللغة القبطية أنها مأخوذة من كلمة (مون) أو (مين) الفرعونية بمعنى بلدة. وتتركب منها ومن الأعلام المنسوبة إليها عشرات من أسماء البلدان تكتب فى الأوراق (منية) وتنطق على الألسنة (ميت) كميت غمر وميت رهينة وميت سمنود وغيرها وغيرها.

أما (الخاصيكية) فهم مماليك كانت لهم رتبة ممتازة ودرجات عسكرية فى قصر الإمارة أو فى الجيش كالأتابكية والسلحدارية والحمدارية (حملة السلاح وحملة الجام) وقد كانوا عهد المماليك برتبة مرافق. رسلا خصوصين للسلطان أو الأمير.

ويلاحظ أن مولد الشيخ المرشدى يحتفل به فى شهر (مسرى) مما يدل على علاقة البلدة قديما بمواسم الزراعة التى كانت تؤرخ بمواقيت مصر القديمة (الهيروغليفية) فيما يتعلق بالنيل.

قرية – بلا شك – لها فى تاريخ مصر.. تاريخ..

❑❑❑

فلسطين.. «والعم سام».. غير الأمين.. ؟؟!

مثل النهر الذى يغير ماءه بين الفينة والفينة وبين الحين والحين، تغير أمريكا سياستها تجاه من تريد حتى تبيد، ولو إبادة معنوية، هكذا دأبت السياسة الأمريكية عبر حقبة طويلة من الزمن إذ هى دائما تعشق التحكم فى الشعوب، بيد أن سترها قد انكشف أمام العالم برمته على موقفها اللعوب.

فأمريكا تبحث دوما عن مصالحها أنى وجدت وحيثما كانت بغض النظر عن مغبة ما تفرزه مصالحها من ضرر بالغ على غيرها من الدول.

هكذا فعلت مع العراق الذى حولت شعبها إلى شيع وأحزاب تتصارع فيما بينها من أجل الذهب الأسود الذى ترقد عليه العراق وسارت على هذا الدرب مع أفغانستان وباكستان وفيتنام الشمالية والجنوبية وكذلك مع كوبا ومن قبلها مع الهنود الحمر.

ويحدثنا التاريخ القريب أن (كاسترو) «زعيم كوبا» إذ يمم وجهه قبالة الرئيس الأمريكى الجنرال «دوايت أيزنهاور» للحديث معه عن مستقبل كوبا أشاح الرئيس بوجهه عمن جاء يبلغه هذه الرغبة قائلا له: ليس لدى وقت لمقابلة «كاسترو»؟!.. فما كان من «كاسترو» – ولم يكن يعرف الشيوعية من قبل – إلا أن اعتنق الشيوعية كراهة فى أمريكا؟!.

وحينما أراد الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» أن يبنى لمصر سدها العالى سدت أمريكا وجه البنك الدولى فى تحقيق مطلب الزعيم المصرى، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الدول الشيوعية وساعدته تلك الدول على تحقيق أمله، وآمال مصر.

واليوم – وفلسطين – تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة لتحقيق حلمها كدولة يعترف بها العالم ومع تسليم جُل الدول بهذا الذى تطلبه فلسطين يقف «أوباما» مهددا باستخدام حق النقض (الفيتو) حتى يجبر الشعب الفلسطينى على عدم نيل حقه المشروع فى ذلك خالعا – بهذه المثابة – «ثوبه» الذى ارتداه غداة إلقاء خطابه فى جامعة القاهرة داعيا فيه إلى الاعتراف بحق الدول فى تقرير مصيرها وكذلك ما طالب به إسرائيل منذ شهور قلائل أمام الكونجرس الأمريكى من وجوب رجوعها إلى حدودها التى كانت عليه قبل حرب يونيه ١٩٦٧.

فالتحيز الأمريكى لإسـرائيل ليـس وليد اليوم فهو ضارب فى القدم.. أليسـت أمريكا هى التى كانت من أوائل الدول التى اعترفت بإسـرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٩؟ بعد أن كانت فلسـطين جزءا من الدولة العثمانية، وكان سكانها من العرب يمثلون نسبة ٩٥٪ من سكانها؟.

ولقد داست أمريكا بقدمها على قرارات الأمم المتحدة التى جاءت جميعها لصالح العرب بما فيها بداهة فلسـطين وكذلك فعلت مع قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ الذى دعا كل دول العالم إلى عدم تزويد إسرائيل بأية مساعدة خاصة بالإستيطان فى أراضى فلسطين المحتلة .. وبـدون حيـاء، أو حرج، زاعمة أن القرارات الدولية السـابقة أصبحت قديمة، بعد أن تجاوزها الزمن، أى زمن؟. لا نعرف. وعندما كان الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» يخاطب أعضاء الكنيسـت الإسرائيلى فى غضون شـهر مارس ١٩٧٩ نطق بلسانه (والرجل مخبوء تحت لسـانه حتى إذا تكلم ظهر) قولته: إن إسـرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تكونتا بالـرواد الأوائـل؛ إن وطنى قد تألف من المهاجرين واللاجئـين الذين حطوا رحالهم على أرضها من العديد من الدول.. إننا نتقاسم إرث «الإنجيل»؟!

لقد ادعى اليهود أنهم أبناء الله، وخلفاء الله، وأحباب الله، مفسرين هذا بأنهم الأقوى والأصلح وأن لهم الأرض بما رحبت من النيل إلى الفرات، ولقد شاهد – كاتب هذه السطور – هذا الشعار على مكاتب القادة الإسرائيلين مفتوحة أمام أعينهم فى الموقع الذى استولت عليه القوات المصرية خلال حرب أكتوبر المجيدة وأضحى مزارا لمن يرغب أو يريد.

يقول «جوستاف لوبون»: إن تاريخ اليهود هو تاريخ المذابح الدموية.. وإنهم أساءوا فى وصف الله، ونسـبوا إليه صفات بشـرية متأثرين بذلك بالأديان الوثنية.. ومبدأ اليهود كما فى سـفر «يشـوع»: (أهلكوا جميع ما فى المدينة، من رجل وامرأة، وطفل وشيخ؟، حتى البقـر والغنم والحمير – بحد السـيف.. وأحرقوا المدينة، وجميع مـا فيها بالنار) أو ليس اليهود هم الذين صلبوا «السيد المسيح» عليه السلام؟! لماذا تسير أمريكا – إذن – وراءهم؟!. ولماذا هى تشجعهم دائما على البغى والعدوان، واستلاب حقوق الفلسطنين؟!.

❑❑❑

كلمات.. لها معنى.. ولها مغزى..

هناك كلمات تتحول إلى آوابد تقرع الأذان، وتستقر فى القلوب والوجدان.

فقد سئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب فى غير خطل، وسئل مرة أخرى عنها فقال: هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.

والكلمات الموجزة هى التى يطلق عليها الأوابد، والآبدة هى تلك الكلمة التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود.

لما كان ذلك كذلك. وهو كذلك، فعسى أن ينتفع من يقرأ هاتيك الأوابد مثلما انتفعت بها، وبارك الله فيمن تعلم العلم وعلمه.

من كلام أمير المؤمنين – كرم الله وجهه – : العفو عن المصر، لا عن المقر. قطيعة الجاهل تعدل صفة العاقل. اتقوا من تبغضهم قلوبكم.

قال بعض الصلحاء: لولا أنى أكره أن أُعصى الله لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحد إلا وقع فىَّ واغتابنى، وأى شئ أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته يوم القيامة لم يعملها، ولم يعلم بها. المؤمن لا يثقله كثرة المصائب وتواتر المكاره عن التسليم لربه والرضا بقدره، كالحمامة التى يؤخذ فرخها من وكرها وتعود إليه. العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما. عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد. من أنس بالله استوحش من الناس.

وقيل لأبى ذر – وقد رمدت عيناه – هلا دوايتهما. فقال: إنى عنهما لمشغول، فقيل له: هلا سألت الله أن يعافيهما؟ فقال أسأله فيما هو أهم من ذلك.

قال بعض العارفين: إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهى التقوى. انظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها، فكم علق عليها من خير، ووعد عليها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية، ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها اثنتى عشرة خصلة:

– الأولى: المدحة والثناء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة آل عمران – الآية ١٨٦].

– الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة آل عمران – الآية ١٢٠].

– الثالثة: التأييد والنصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [سورة النحل – الآية ١٢٨]

– الرابعة: النجاة من الشدائد، والرزق الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق – الآيات ٢ – ٣].

– الخامسة: صلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآيات ٧٠ – ٧١].

– السادسة: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٧١] .

– السابعة: محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [سورة التوبة الآيات ٤، ٧].

– الثامنة: قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [سورة المائدة – الآية ٢٧]

– التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات – الآية ١٣] .

– العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة يونس – الآيات ٦٣ – ٦٤].

– الحادية عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [سورة الزمر – الآية ٦١].

قال بعض الحكماء: مَن أظهر شكرك فيما لم تأته، فاحذر أن يكفر بنعتمك فيما أتيته.

العدو عدوان: عدو ظلمته فجنيت بظلمك إياه عداواته، وآخر ظلمك فجنى بظلامته إياك عداوتك، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكن بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته.

من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعملون.

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا.

لسان الجاهل مالك له.. لكل قوم يوم.

موت الخير راحة لنفسه، وموت الشرير راحة لغيره.
خير مالك ما وقاك، وشره ما وقيته.. خير ما جربت ما وعظك.
خير الأوطان أعونها على الزمان.. خير البلاد ما حملك.
فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها.
ظلم الضعيف أفحش الظلم.
من التوفيق التوقف عند الحيرة.
خاطر بنفسه من استبد برأيه.
قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.
صلاح نفسك معرفتك بفسادها.
ارع حق من عظمك لغير حاجة إليك.
اعرف أخاك بأخيه قبلك.
قارب الناس فى عقولهم تسلم من غوائلهم.
دع ما شاء القلب لا ماشاء الرب.
لا تنكح خاطب سرك.
لا تفتح بابا يعييك سده، ولا ترسل سهما يعجزك رده.
لا تستح من إعطاء القليل، فإن المنع أقل منه.
لا تكن كالجراد يأكل ما وجده، ويأكله ما وجده.
لا تكن رطبا فتعصر، ولا يابسا فتكسر.
لا يزيدنك لطف الحسود إلا وحشةً منه.
إذا قُبح السؤال حسن المنع.
لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق.
لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو.
لا تقل ما لا تعلم فتتهم بما لا تعلم.
لا تصحب الأشرار فإنهم يمنون عليك بالسلامة منهم.
إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.
إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما إليك.
إذا لم يكن ما تريد فرِد ما يكون.

وقال الشاعر:

خلقان لا أرضاهمـــا لِفتـــى بطـر الغنـى ومذلـــة الفقـر
فإذا اغتنيت فـلا تكـن بطـرا وإذا افتقـرت فتِـهْ على الدهر

قال الشاعر:

إن الليالـى للأنـام مناهـــل تطوى وتنشر بينهـا الأعمـار
فقِصارهـن مـع الهموم طويلة وطوالهن مع السـرور قِصـار

وقـال العلماء: الغيبة جهد العاجـز، وإن أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال بعض الأعراب لابن عباس: من يحاسـب الناس يوم القيامة؟.. فقال: يحاسـبهم الله تعـالى، فقال الأعرابى: نجونـا إذن ورب الكعبة. فقيل له وكيف؟.. فقال: إن الكريم لا يدقق فى الحساب.

قيـل لراع عابد وجدت الذئاب بين أغنامه وهى لا تؤذيها: متى اصطلحت الذئاب مع غنمك؟ قال: منذ أصطلح الراعى مع الله.

وقال الشاعر:

إذا صحبت الملـوك فالبـس مـن التوقـى أعـز ملبـس
وادخل إذا مادخلت أعمـى وأخرج إذا ماخرجـت أخرس

سـأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسـنة الناس، فأوحى الله إليه: إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسى، فكيف أجعلها لك؟.

قال أديب:

إذا رأيـــت أمـــورا مـنـهـا الـفـؤاد تـفـتـت
فـتـش عـلـيـهـا تـجـدهـا مـن الـنـسـاء تـأتـت

وأخيرا وليس أخرا أُعجبت أيما إعجاب بهذا البيت القديم للشاعر الأعشى الهمدانى، وهـو مـن الذين قتلتهم أشـعارهم، ومـن ضمن قصيدة عصمـاء له وهى من عيون الشـعر العربى قال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيـر

وقال أستاذنا «العقاد» فى الصبر:

إيه يا دهر هات ما عندك من مصائب وانظر عزمات الرجال كيف يكون
ما تعسفت فى بلائك إلا هان بالصبر منك ما لا يهون

وفى الختام.. اجعل كتابك عالما تختلف إليه.

❑❑❑

obeikandl.com

العقاد .. عبقرية علمية ..

من المسلمات.. وأيضا من البديهيات التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى، كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض؟.

ومن عجب أن السماء ذاتها – كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى وهى فوقنا فى كل مكان – يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية لى يروها مع أشياء أخرى فى هاتيك الأماكن فهى تبدو المرائى حينئذ. أكثر صفاء، وأشد نقاء وأبهى ضياء؟

وقد يكون مرد ذلك فيما نرى أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره. وينعم فكره فى قيمة أى شئ أن يبتعد عنه قليلا حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته وفحواه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد الذى رحل عنا فى مثل هذا اليوم منذ خمسة وثلاثين عاما بعد أن (ملآ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية آنذاك.. كان الأستاذ العقاد ولا يزال، بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أصبح اليوم – بعد أن بعد عنا – كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع وقعتها ويشف منظرها المرائى من بعيد. فهاهوذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض – يتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة. تؤلف عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما يعد يوم عن فكره، وأدبه، عن شعره ونثره، فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل: (وطنى هو العالم) فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ «أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الإلمام بغير ثقافته الخاصة ـ ليصبح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة؟».

ومن هنا دبج يراعه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب هو العالم بما رحب»؟.

ألم يقـرأ، ويقـرأ حتى. فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى نـب أقرائه رفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم»؟.

وانظـروا إليه وزعيم الأمة سـعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسـيانه لمسـألة حالة بالسودان الشقيق: لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك. لما نجوت من العقاب. ويرد العقاد العظيم: «ولكن لبس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد»؟.

ومـن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف بـه العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم. وعالم فى ثـوب أديب).. فهو على كثرة ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشـعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث؟

فهو أول من أثبت تأثير العلم على الأدب.. كما سوف نرى.

يقول العقاد : الثقافة اليوم تنقسـم إلى علمية وأدبية. بنى (عالم) لا يعرف شـيئا عن (هوميروس) و (فرجيل). وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظان الأفلاك.

وكلاهما نصف إنسان أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب، أو يعـرف الأدب، ولا يجهـل العلم. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يـردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسـان. فقـل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان وإنما هو كما قال «نيتشه»: أذن كبيرة أو لسان طويل. تمشى به قدمان؟!.

ومـن هنا جاءت عبقرية العقاد العلمية التـى فاق بها المتخصصين وبز بها المتعمقين ـ فى مجال العلم نفسه.

فـكان أول مـن صحح مقالة (داروين) التى شـاعت وذاعت على ألسـنة الخاصة قبل العامـة والتى نسـبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنهـا أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسـب» وليس «للأصلح».. فإن الإنسـان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم نبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب. فينبرى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة – يريد أن «يدهشه» أو «يعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى (برسـيفال) والثانى يسـمى (لويل) قد قالا بهذا.. يرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالمين.

يدعى (برسيفال لويل)..؟؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك منفيا فى كتاب الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذيوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحفية والإذاعية فى أوربا وفى أمريكا.. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة أمرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين وجمال الدين الأفغانى، وعبد الرحمن الكواكبى من المحدثين، فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب. وعلى غير مادون عنها فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ .. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض. فرفض أن يعالج خارج الديار. (لأنه لا علاج له). وشخص حالته المرضية بدقة حتى أن عالما طبيا كبيرا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وأخر من عاده: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين.

وعندما مات العقاد ـ كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

«لقد قضى العقاد الطبيب، على العقاد الأديب؟!».

رحم الله العقاد – العالم الأديب – فى ذكرى رحيله.

❑❑❑

إبراهيم باشا .. قائد ثورة ١٩١٩ ؟!..

إنجلترا هى عاصمة بريطانيا.. والأميرة «ديانا» هى زوج ريتشارد قلب الأسد، وتركيا دولة عربية، والنيل ينبع من رشيد!.

هذا بالنسبة لمعلوماتهم العامة الثقافية. أما اللغة العربية فحدث ولا حرج؟ فمن جر للمرفوع، ونصب للخبر، إلى التقعر فى التعبير والخطأ فى الإملاء. ويكفى للدلالة على ما تردوا فيه أن أحدهم – فيما نشرته إحدى المجلات، طلب قردا من «القرود».. بينما كان يقصد قرضا من القروض!!.. ويبدو أنه كان يعلم سلفا أن اللغة العربية هى لغة «الضاد» فاستبدل «الضاد» «بالدال» ومن ثم يثاب على هذا اللغو فى اللغة، كما يثاب المرء بالنيات!!.

ذكرنى هذا المستوى المتدنى لهذه «العينات» من إجابات بعض خريجى «الجامعات» فى اختبارات القبول بالإذاعة المصرية، ووزارة الخارجية.. «ولم ينجح منهم أحد؟!»..

أقول ذكرنى هذا «بعينات» مماثلة من إجابات زملاء لهم من خريجى الجامعات فى اختبارات القبول «بكلية الإعلام» إبان فتح أبوابها لقبول أول دفعة بها منذ أكثر من ربع قرن مضى!.

وقد كنت أحد الذين تقدموا للانتظام بالدراسة فيها إذ أن باب القبول قد فتح بها لجميع الخريجين من التخصصات المختلفة من الجامعات المصرية لمقابلة الأستاذ الدكتور «جمال العطيفى» فى مكتبه بالدور الحادى عشر بجريدة الأهرام إذ أنه كان مشرفا على هذه الكلية. لنسأله عن نتيجة الاختبار. وإذا به ونحن جلوس إليه يزف إلى بشرى تفوقى فى هاتيك الاختبارات. وأننى حزت قصب السبق فيها وأن ثمة منحة دراسية بباريس، تنتظرنى بعد قليل.

ثم إذا بوجه الرجل يربد، ويكفهر، وهو يقول: إن مستوى إجابات المتقدمين للقبول بهذا المعهد العلمى وهم جميعا من حاملى الليسانس والبكالوريوس.. بل والماجستير كان هابطا. الأمر الذى ترك لديه أثرا غائرا ومحبطا.

فوجئت فى اليوم التالى لهذه المقابلة بمقال دبجه يراعه فى جريدة الأهرام معنونا بعنوان «أمية المتعلمين» من خلال امتحانات كلية الإعلام؟ عدد فيه االدكتور العطيفى،

الأخطاء التى وصمت هؤلاء المتقدمين بالجهل المميت، ووسمتهم بالتخلف المقيت. والأزورار عن تربية العقل الذى فضل الله به الإنسان على سائر المخلوقات. فمن قائل عن: «سيزا نبراوى» إنها أشهر راقصة فى مصر؟ ومن أجاب عن استفسار عن محمد عبده «الإمام محمد عبده» على أنه المطرب السعودى المعروف «محمد عبده»؟! ومن تطوع فوسد الزعيم أحمد عرابى كرسى الإدارة رئيسا لإحدى الشركات، ومن جهر دون خجل أن من يمتطى صهوة جواده فى ميدان الأوبرا المصرية هو قائد ثورة ١٩١٩؟!.

أما جوجول وتشيكوف وموليير وفولتير، فقد اختلط بشأنهم الحابل بالنابل!.

من المسئول عن هذا الداء، وأين يكمن الدواء؟.

اختلف البعض وتباين: فمن أرجع هذا إلى «انشغال» الأستاذ الجامعى عن الطالب قلبا وقالبا «بمسائل شخصية» ومن عزا ذلك إلى تقعر نظم التعليم سواء أكان فى المدرسة أم الجامعة ناهيك عن البيت وأن المسئولية «تضامنية» ومن أرتأى أن ما حدث إنما يقع أولا وأخيرا على عاتق الطالب نفسه وعلى كاهله.. لأنه «لايقرأ»؟ حتى بلغته القومية، وكان هذا هو رأى الدكتور عصام سالم رئيس جامعة الإسكندرية.

وما أرتأه ورآه رئيس الجامعة هو الصحيح!.

فالقراءة كما عبر فيلسوف الصين «كونفوشيوس» هى مفتاح الشخصية وسر قوتها، وتفوقها.

وفى نصيحة حكيم فرعونى لابنه: قد بلغنى أنك أهملت دراسة الكتب وأنك تتسكع من طريق إلى طريق.. ومن ثم أبعدت الناس عنك وسقت روحك إلى الهلاك، وأصبحت مثل المجداف المحطم فى السفينة لا يتجه إلى أية ناحية.. وطن نفسك على أن تكون «قارئاً» حتى تستطيع أن تدير العالم كله.

ومن وصية «جيتى» لابنه «بيبى» ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وليتنى أتمكن من أن أريك جمالها.. إنها أعظم من أى شئ أخر.

وها هوذا الدكتور أحمد زويل – عالم مصر الشاب الذى حصل على أكبر جائزة عالمية فى العلم من الولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى مصر زائرا وفى يده جائزة المجد والفخار، وعلى رأسه إكليل الغار – يقول «أعطونى كتابا أقرؤه واتركونى بعد ذلك بمفردى على المريخ»؟!.

وتعالـوا معـى لننعم فكرنا، ونمعن نظرنـا.. فى هذه الصورة التـى رسمها أديب فنان لعملاق الأدب العربى الأستاذ عباس محمود العقاد. الذى مرت بنا ذكرى مولده ولم يحتف أو يحتفـل بهـا أحد.. بصور هذا الأديب الأسـتاذ العقاد بعد وفاتـه ـ وقد أنعم الله عليه بإدخاله الجنة.. فطفق الأسـتاذ العقاد يبحـث فى أرجاء الجنة عن كتاب يقرأه حتى إذا لم يعثـر علـى ضالته خرج من الجنة مغضبا وهو يقول : مـا فائدة الجنة إذا لم يكن فيها كتاب يقرأ؟!.

ذلـك لأن العقـاد العظيم كان ينفق جل وقته.. ويمضى سـاعات عمره بين الكتب ومع الكتـب يغـترف من معينهـا وينهل من منهلها، حتـى أصبح العقـاد العبقرى، صاحب العبقريـات.. أليس هـو القائل إننى أقيس أى إنسـان «بعدد» الكتب التـى قرأها.. ومن المأثـور عنه قوله الجميل الجليل: إننى أقرأ لا زهـدا فى الحياة، ولكننى أقرأ لأن «حياة واحدة لا تكفينى».. ومات العقاد.. وقد أضحى على حد تعبير الأستاذ أنيس منصور.. وهو الحاصل على الشهادة الابتدائية.. أعظم المفكرين – العرب – فى القرن العشرين.

ويا أيها الراسبون اقرأوا واقرأوا لأنكم لو كنتم قد قرأتم لما كنتم قد رسبتم؟!.

ألم يرد فى الكتاب المقدس «فى البدء كانت الكلمة»؟.

وألم تكن أول كلمة أنزل الله بها سبحانه وتعالى كتابه المبين كلمة «إقرأ»..؟!.

❑❑❑

يوم.. أن مات سعد زغلول (٢/٢)

وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وإنصياعه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحدييث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول يعانى ظلمة المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» فأصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضة يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

«ملنر» لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائية توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا، وهاك هو الحوار الذى دار بين ملنر وبين أحد فلاحى مصر:

س : اسمك؟

جـ : (صمت)!

س : هل أنت متزوج؟

جـ : (صمت)!

س : هل عندك أولاد؟

جـ : اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

جـ : اسأل سعد باشا؟!

وأضطر الإنجليز إلى الافراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى أن كاتبا كبيرا كتب عنه يقول « لو قدر للاسكندر الأكبر، أو نابليون بونابرت أن يشهد ما شهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك؟!. ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتا عريضاً معنونا منية المرشد – معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات – تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الثائر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيسا له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد فى مقال له عن سعد بعنوان « عظيم كل حياته عصامية».

وعندما حانت منيته فى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٧ انفجرت مصر عن بكرة أبيها صيحة واحدة بالتشنج والبكاء المر، فلم يكن أرهب من ذلك السكون إلا هذا البكاء الذى اتصل مداه فى لحظات معدودات بكل مكان فى القاهرة وكل مكان فى أرجاء البلاد حيث كان كل نبأ منظورا فى تلك المرحلة من مراحل السياسة المصرية إلا موت «سعد زغلول»، فالدستور قائم لا يُعلم مصيره والمفاوضات على القضية المصرية ماضية لا يُعلم مصيرها والمساعى كثيرة والعروض أكثر وسعد وحده هو ميزان الأمور بعد ذلك البحر اللجى من المساعى والفروض على أن الناس بغتوا بالروعة فى غير تفكير ولا انتباه لحقيقة ما يروع، يستوى منهم من يكترث بالسياسة ومن لا يكترث لها أقل اكتراث، بالنبأ المخيف وهذا مصرى ساقته قدماه مسرح من مسارح الغناء لا يقصده الرواد إلا للهو والمجون، وتوسط الجميع ثم وقف وصاح وهو لا يدرى لِمَ يحمل النعى إلى ذلك المكان وهو يقول: أيها الإخوان: البقية فى حياتكم (الباشا مات) فمَا لفظ بها حتى صرخت المغنية – التى كانت تتلوى بالغناء – وألقت بالعود من يديها وولت هاربة ووجم الحاضرون هنيهة ثم تسللوا مجتمعين ومتفرقين خارج دار الغناء.

وكانت القاهرة كلها محشورة بين بيت سعد زغلول والمقبرة – من دار سعد إلى قبر سعد. آفاق الناس وهم يتسألون: سعد يبرح داره؟!. سعد مفارقهم إلى غير لقاء؟! ياللهول القاسم ويالللفزع الأكبر وجاءت لهم الحقيقة جائحة فادحة فى صورة ذلك النعش الأخضر ينحدرمن بيت الأمة فى تؤدة وسكون نعش سعد وفيه سعد؟!.

وكانت لحظة كاش فيها ودفن فيها حلم الحليم وصبر الصبور، وكانت القاهرة – بغير سعد – القاهرة اليتيمة وكانت أشبه بوحشة القبر، وهذا ما سجله «العقاد» فى كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية».

مات سعد زغلول فبكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أدباؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشد «شاعر النيل»:

إيه ياليل هل شهدت المصابا كيف ينصب فى النفوس انصبابا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح أن الرئيس قد ولى وغابا

وانـع للنـيرات سـعدا فسعـدٌ كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكـب الأرض فـى الأرض فغيبى عن السماء احتجابا

وينشـد: «أمير الشـعراء» الذى كان غائبا عن الوطن – آنذاك – معبرا عن حزنه لموت سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعـوا الشمـس ومالـوا بضحاها وأنحنى الشـرق عليهـا فبكاهـا
ليتنـى فـى الركـب لـما أفلـت يشـوع، همت فنـادى فثنـاهـا

وتدبيج يراع العقاد فى ذكرى الأربعين له:

حملـوا علـى المدفـع مدفعـا الأساطيـل اتقتـه والحصـون
فتـرة التيـه تغشـت أمـة غاب موساها على طـور سنين

وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنوانا: مات الأسد المصرى..
فسلام على سعد فى الخالدين.

❑❑❑

يوم .. أن تعانق الهلال مع الصليب .. ؟!

الأيـام كالأنـام.. تولد وتحيا وتموت.. شـأنها شـأن جميع الكائنـات الحية يدركها الموت،ويرد عليها البلى والفناء!.

بيـد أن ثمـة أياما، وكذلك أشـخاصا. تولد، لكى تحيا وتظل هكـذا حية فى ضمير الزمن.. وفى ذاكرة التاريخ.. حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومـن الأيـام الخوالد – وما أكثرها فى تاريخ مصـر! – التى عنت لها الجباه، وكتبت لها الحياة، ما خطه الدكتور «محمد حسين هيكل» باشا فى الجزء الأول من «مذكرات فى السياسة المصرية» يقول عنه:

كان ذلـك ليلـة اليوم الثامن شـهر مارس سـنة ١٩١٩، وكنت ذلك اليوم مسـافرا إلى القاهـرة لألقى محاضرات بالجامعة المصرية صبيحة ٩ من مارس، وكان النبأ بالقبض على الباشـوات الأربعة واعتقالهم، قد سـرى فى أنحاء العاصمة، وانتقل منها بسرعة البرق إلى أنحاء الأقاليم، وكان الجميع، إنجليزا ومصريون وأجانب، ينتظرون ما عسى أن يكون رد الفعل لهذا القرار الذى اتخذته إنجلترا إزاء من ينادون باستقلال مصر.

فلما أصبحت يوم ٩ مارس ذهبت فى السـاعة التاسعة إلى الجامعة، وكان مقرها يومئذ بميـدان الأزهار «الفلكى الآن» فـإذا هى خلاء ليس فيها طالب واحد، وصعدت إلى الطابق الأول فألفيت محمد بك وجيه سـكرتير الجامعة بغرفته المطلة على الميدان وكانت سـراى البسـتان، حيث يقيم السلطان فؤاد، تجاور الجامعة وتطل عليها نوافذ مكتب وجيه بك، فلما دخلت عليه حيانى وعلى وجهه ابتسامة وقال إن طلبة الجامعة وطلبة جميع المدارس العليا والثانوية مضربون احتجاجا على اعتقال رئيس الوفد وأعضائه.

جلسـت إليه أتحدث معه، وأشـرب القهوة عنده، وإننا لنتحـدث إذ رأينا من نافذة الغرفـة منظـرا يأخذ الأبصار فقد امتلأ ميدان الأزهار كلـه بالمتظاهرين من جميع الطبقات طلابا وعمالا وأفندية، وفى أيدى كثيرين منهم فروع أشـجار ضخمة اقتلعوها من الشـوارع التـى مروا بها. وإذ هم يميلون على عربات الـترام التى تمر بالميدان يحطمونها ويقلبونها هنالك قلت: لقد أطلق الحيوان الناطق من جميع قيوده، ولم تمض لحظات بعد ذلك حتى

رأينـا قوة من الجنود الإنجليز تحاصر قصر البسـتان مخافـة أن يدخل المتظاهرون بميدان الأزهـار – ثم اندفعوا إلى ناحية شـارع القصر العينى، ولم تغـرب شمس ذلك اليوم حتى جاءت الأنباء أن الاضطراب سـاد البلاد المصرية كلها من الإسكندرية إلى أسوان وأن منوره عجباً! انتشـرت فى كل مكان، وأن خطوط السـكك الحديدية أتلفـت وكثيرا من خطوط التلغراف قطعت، وأن الانتقال من العاصمة أو إليها أصبح مستحيلا.

فى هذا الوقت العصيب كانت الأنباء ترد فيه بين سـاعة وأخرى بوقوع الاشـتباك بين الجنـود الإنجليز والمتظاهرين المصريين بالقاهرة اشـتباكا تجسـم الأنباء نتائجه من القتلى والجرحـى وقـد تمردت بعض قرى الجيـزة القريبة من القاهرة فعاقبهـا الجنود الإنجليز باسـتباحتها واحراقها وانتشـر الخبر بذلك وترتب على انتشاره أن أحاط الأهالى المصريون بجماعـة من الجنـود البريطانيين وقف بهم القطار بمحطة فقتلوهم وشـربوا من دمائهم، وأعلنـت بعـض الجهات النائية بعض الشـئ عن القاهرة اسـتقلالها، واحتل شـبان من المحامـين دواوين الحكومة، وتولوا بأنفسـهم أمور الحكـم والمحافظة على الأمن والنظام وأضربنا نحن المحامين فى أنحاء القطر جميعا احتجاجا على تصرفات السلطة البريطانية، وكنا نذهب كل صباح إلى منزل سـعد زغلول باشـا حيث يجتمع أعضاء الوفد، نتلقى من هناك أنباء ما حدث بالأمس، ونرتب عليه نتائجه فى تصرفاتنا.

أندلع لهيب الثورة وامتد فى كل مكان ولم يقتصر على المتعلمين ولا على الشباب، بل اهتزت به جميع القلوب وتحرقت استجابة له الجوانح والافئدة، حتى السيدات، اللواتى كن يومئذ محجبات مقصورات فى خدورهن، أبى عليهن شـعورهن الوطنى أن يبقين غير مشـتركات فى هذه الثورة القومية القوة، فخرجن مؤتزرات متظاهرات سيرا على أقدامهن إلى منزل سعد باشا، الذى أصبح حقا وفى هذا الظرف بيت الأمة، وكذلك تحطمت الفوارق فى التفكير والشعور بين الطبقات .. والحرص الخالص على التخلص من حكم الإنجليز.

كذلـك أصبحت مصر فى اليوم التاسـع مـن مارس عام ١٩١٩ بعد أن ظلت حبيسـة الإحتـلال الـذى ناء عليها بكلكله، هى فى كفاح ومراس حتى جاءت القارعة من شـعب برمته كان يتلظى فجاء اعتقال سـعد الذى لم يكن عقلا فحسـب ولكنه كان عقلا وروحا، وصوتا وجسـما وحركة وسـكونا تسرى فى الآلاف بل عشـرات الآلاف، كما عبر الدكتور محمد بهى الدين بركات باشـا فـى مقال له عنه، فالتف الشـعب حوله وأحاطه إحاطة

السوار بالمعصم، فجاء اعتقاله هو وصحبه بمثابة الشرارة التى أوقدت فيه نار الثورة.. هذه الثورة التى أظهرت شعب مصر بمظهر الوحدة السياسية المتكاملة وكان الإخاء بين الهلال والصليب، وكان الاتحاد المطلق فى الجهاد والتضحية والفهم بين المسلمين والأقباط كما دون الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه «محنة الدستور» وكان امتزاج السعى بالاستقلال التام أو الموت الزؤام فى سبيله بين عنصرى الأمة دون تفريق أمام إنجلترا التى جابهها سعد بهذا التحدى وهى الدولة الأولى فى العالم المنتصرة فى الحرب التى يركع العالم عند قدميها وهى توزع الأسلاب، وجنودها ليسوا بعيدين، بل هنا فى قلب القاهرة. كما عبر الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه القيم «أيام لها تاريخ» ولم تكن الثورة تقتصر على منطقة واحدة ولكن الجامع الأزهر كان المركز الرئيسى لها منه تنطلق القذائف الثورية فى شكل موجات من البشر فقد كان يؤم أفراد الشعب من جميع الطبقات ورجال الدين على اختلاف نحلهم ومللهم حتى النساء كن يعقدن فيه المؤتمرات الوطنية ويلقين فيه الخطب الحماسية وقد اشتهر من خطباء الأزهر فى تلك الأيام العاصفة مصطفى القاياتى والقمص مرقص سرجيوس والقمص بولس غبريال، والطلاب إبراهيم عبد الهادى وشكرى كرشاه وزكى مبارك، وغيرهم من الشباب المثقف وتكونت لجان الثورة لتلعب دورها وتؤدى رسالتها.

روى راغب إسكندر فى ذكرياته عن الثورة فقال: إن لجان الثورة ظلت تعمل بانتظام دون أن يصيبها الكلل أو الملل ودون أن يعرف زميل زميله فى الخلية الأخرى حتى إنى لم أكن أعرف أن أخى نجيب إسكندر كان يعمل فى إحدى الخلايا الأخرى.

وكان كلانا لا يعرف أين وكيف يعمل الأخر، وكانت خليتى مؤلفة من أحمد ماهر والنقراشى والشيخ مصطفى القاياتى وأنا، وكان أعضاء هذه الجمعيات يوزعون المنشورات فى المدن والقاهرة وهم متنكرون بعضهم، يرتدى القبعة ليُحسب من الأجانب فلا تتجه إليه الشبهات.. وكان منهم الطالب توفيق صليب.

وكان من أعظم السمات التى اتسعت بها ثورة ١٩١٩ أن الفلاحين اشتركوا فيها، فكانت ثورة عامة تجمع بين الباشوات والموظفين الكبار والصغار والفلاحين وسكان المدن، وكان من أعظم هذه السمات – أيضا – اشتراك الأقباط والمسلمين فيها، واتحادهم جبهة واحدة للمطالبة بالجلاء. وكان خطباء المسلمين يخطبون فى الكنائس وخطباء الأقباط يخطبون فى المساجد، يدعون إلى ذلك الهدف الأسمى المشترك، كما ذكر الأستاذ سلامة موسى فى كتابه «الثورات».. وما أكثر ما كان الطلاب والعمال المصريون يتساقطون أثناء

مظاهراتهم فى شوارع القاهرة والإسكندرية تحت رصاص الجنود الإنجليز، فلا ينثنون عن هدفهم، ولا يرتدون عن غاياتهم والراية المصرية مرفوعة بينهم تنتقل من يد إلى يد، كلما صُرع حاملها سارع رفيقه لرفعها مكانه رمزا للعزة القومية والكرامة الوطنية والإباء العظيم.

ولم يقتصر ضحايا الثورة على ألوف القتلى والجرحى الذين استشهدوا فى ميادين الكفاح، إذ كانت المحاكم البريطانية تدفع بين حين وأخر بعشرات الضحايا إلى ساحات الإعدام، فأعدموا ١٤٦ من أفراد الشعب و زجوا ١٢١٣ مصرى إلى ظلام السجون.

ملمح من ملامح ثورة ١٩١٩ التى يواكب ذكراها اليوم التاسع من مارس فى كل عام.. هذه الثورة قوضت أركان إمبراطورية كانت تتسع ولا تتقلص ـ على نحو ما ذكر (قلعجى) – وكانت جنودهم من شتى الأجناس ومن كل فئات الناس بعتاد الحرب الثقيل يمشون مختالين فخورين يلقى الخلق فى ظلهم الكئيب، وقلبهم العليل، الموت والأهوال، لا يعرف أحد من فى أبناء مصر معهم حرية ولا استقلالا، ليس لهم من شأن سوى سفك الدماء، وقتل الأحرار الأبرياء، يتنمرون لشعب أبى «لا يطيق دفاعاً» وإذا به يخرج من قمقمه ماردا عملاقاً يعيى العدو «شجاعة ومصاعاً» ويهد منه معاقلا وقلاعا يضحى بثورته وعزته للشرق كله حتى إن الزعيم العظيم المهاتما غاندى قد قال:

«لقد تعلمت الكفاح من سعد» ثم يقول: «إننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير منذ ثورة ١٩١٩ وحتى الأن، وإننى أراه قدوة وأعده بمثابة أستاذ. وعن سعد أخذت توحيد العنصرين ولكنى لم أنجح كما نجح هو فيه. إن سعدا ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين».

هذه هى ثورة ١٩١٩ التى تعانق فيها الهلال مع الصليب، تثبت للعالم كله أن مصر نسيج واحد لا فرق فيها بين مسلم ومسيحى، فالدين لله والوطن للجميع.

ولله در الشيخ محمد عبد المطلب فيما قال:

بنينا على آداب عيسى وأحمد ... منازل عز دونها يقع النسر
فنحن على الإنجيل والذكر أمة ... يؤيدها الإنجيل بالحق والذكر
لنا كل ما فى مصر والحق قائم ... تؤيده الأيات والحجج الغر
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا ... وإن جر قوم بالسعاية ما جروا
كلانا على دين به هو مؤمن ... ولكن خذلان البلاد هو الكفر
فلا يحسبن الناس أنا تزلزلت ... بنا قدم أو مس وحدتنا الضر